جان جينيه

الشرفة

ترجمة رجاء الشلبي

الأمين

الشـــرفـة

مسرحية

تأليف : جـان جينيـه
ترجمة: رجـاء الشلبي
تدقيق: وليـد قوتلـي

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة – دمشق 2010

العنوان الأصلي للكتاب :

Jean Genet

Le balcon

الشخصيات

الأسقف

القاضي

الجلاد: أرتور

الجنرال

قائد الشرطة

العجوز

روجيه

الرجل

أحد الثوار

المبعوث

المصور الأول

المصور الثاني

المصور الثالث

الشحاذ: العبد

إيرما: الملكة

المرأة

السارقة

الفتاة

كارمن

شانتال

اللوحة الأولى

الديكـــور

ثُريا معلقة في السقف، ستظل هي ذاتها في كل لوحة. يُظهر الديكور مَوهِفاً[1]، يتألّف من ثلاثة سواتر من الساتان الأحمر بلون الدم. يوجد في الساتر الخلفي باب مبني بعناية. في الأعلى يوجد صليب إسباني ضخم ورسمٌ خدّاع. على الجدار اليميني توجد مرآة – إطارها مذهب ومنحوت – تعكس سريراً غير مرتب، ولو كانت الغرفة مرتبة ترتيباً منطقياً سيكون السرير في المساحة الواقعة بين المسرح والجمهور. طاولة عليها إناء. كرسي أصفر. على الكرسي يوجد بنطال أسود وقميص وجاكيت. الأسقف يلبس التاج والرداء الأسقفي المُذهب ويجلس على الكرسي. يبدو أطول مما هو عليه في الواقع. سيلعب الدور ممثل تراجيدي يلبس قبقاباً ارتفاعه نحو 0.50 متر. عندما

---

(1) مَوهِف: حجرة مجاورة لهيكل الكنيسة تُحفظ فيها الأواني المقدسة وزخارف الكنيسة، يبدل الكهنة ومساعدوهم فيها ملابسهم ويضعون ما يلزم للخدمة المقدسة.

يضع الرداء ستصبح كتفاه واسعتين إلى الحد الأقصى، بطريقة يبدو فيها عند رفع الستار ضخماً وقاسياً كفزاعة.

سحنة وجهه مدببة كثيراً. تجلس إلى جانبه امرأة في ريعان الشباب، تضع الكثير من الماكياج وترتدي رداء الحمام المصنوع من الدانتيل، تجفف يديها بمنشفة. (لم أقل بأنها تجفف نفسها).

هناك امرأة واقفة في الأربعينات من عمرها، سمراء، تقاطيع وجهها حادة، ترتدي طقماً نسائياً أسود ضيقاً. إنها إيرما، تضع على رأسها قبعة بشريط معقود تحت الذقن، مثل الزناق الذي يثبت الخوذة.

الأسقف (جالساً على الكرسي, وسط المسرح، بصوت ضعيف لكنه ورع وحميم): في الحقيقة، ما سيحدد الحَبْرَ ليس رقتة الكبيرة ولا شعائر الدهن بالزيت المقدس التي يقوم بها, بل تفكيره الشديد الدقة. القلب يفسدنا. ظننا أننا سادة إنسانيتنا، فإذا بنا عبيد للاسترخاء الهادئ. حتى أن هناك شيئاً آخر يرتبط بالتفكير... (يتردد). سيكون ذلك قسوة. ومن الناحية الأخرى فإن هذه القسوة – وبواسطتها – يكون المسعى اللبق والقوي نحو الغياب، نحو الموت، نحو الله؟ (يبتسم) أراك تعود! (مخاطباً تاجه الأسقفي).

أيها التاج الذي تبدو كقلنسوة الأسقف، اعلم جيداً أنني إذا أغلقت عينيّ للمرة الأخيرة، سأراك وراء أجفاني، فأنت قبعتي الجميلة المذهبة... فأنت الزينات والأثواب والدانتيل...

إيرما (فظة): لقد بُتّ الأمر، عندما تمت اللعبة...

(قلما تتحرك طيلة اللوحة الأولى، تأخذ مكاناً قريباً جداً من الباب).

الأسقف (هادئاً جداً، وبحركة منه تبعد إيرما): لندع النرد يقرر...

إيرما: لا، ألفان، إنهما ألفان، وبلا حيرة أو أنني سأغضب وهذا ليس من عادتي... إذا واجهتكم صعوبات الآن...

الأسقف (صارماً يلقي بالتاج الأسقفي): شكراً.

إيرما: لا تكسر شيئاً. يتوجب إصلاح ذلك. (للمرأة) رتبي هذا.

(تضع المرأة التاج على المنضدة قرب الإبريق).

الأسقف (بعد تنهيدة عميقة): قيل لي بأن هذا المنزل مُحاصر؟ لقد اجتاز الثوار النهر.

إيرما (قلقة): الدماء في كل مكان... ستسير بمحاذاة حائط المطرانية. خذ الطريق المؤدي إلى سوق السمك...

(تُسمع فجأة صرخة ألم قوية تطلقها امرأة لا تُرى)

(منزعجة). لقد أوصيتهم بأن يكونوا هادئين. لحسن الحظ، اتخذت الحيطة فحجبت النوافذ كلها بستائر مضاعفة. (فجأة تبدو وديعة وماكرة). ماذا أنجزنا هذا المساء؟ منح البركات؟ والصلاة؟ والقداس؟ والعبادة الدائمة؟

الأسقف (رصيناً): لا تتحدثي عن ذلك الآن. انتهينا. لا أفكر إلا بالعودة... قلتِ بأن المدينة تغوص بالدم...

المرأة (تقاطعه): سيدتي، كان يوجد تبريك. وبعد ذلك اعترافي...

إيرما: وماذا بعد ذلك؟

الأسقف: كفى!

المرأة: هذا كل شيء. في النهاية المغفرة لي بعد الاعتراف.

إيرما: في هذه الحالة، لن يكون بمقدور أي شخص حضور ذلك؟ ولا حتى لمرة واحدة؟

الأسقف (خائفاً): كلا، كلا. هذه الأشياء بقيت وستبقى سرية. إنّه لقلة حياء الحديث عن هذه الأشياء الآن بينما أُجرد من ثيابي. لا أحد يمكنه الحضور. ويجب أن تكون الأبواب كلها موصدة، لا بل محكمة الإغلاق، مغلقة، مغلقة الأزرار، مربوطة، مبكلة، مخيطة...

إيرما: كنت طلبت منكم ذلك...

الأسقف: مخيطة، سيدة إيرما.

إيرما (منزعجة): هل تسمحون على الأقل بأن أقلق... بصورة احترافية؟ قلت لكم ألفان.

الأسقف (يصفو صوته فجأة، ويصبح أكثر وضوحاً كما لو أنه استفاق. يُظهر قليلاً من الغضب): المرء لا يتعب نفسه سُدًى. بالكاد ست معاصٍ، وهذا ما لا أفضله.

المرأة: ست معاصٍ، ولكنها أساسية! تعبت حتى وجدتها.

الأسقف (قلق): كيف، هل كانت مزيفة؟

المرأة: جميعها حقيقية! أتحدث عن الأسى الذي أصابني من أجل ارتكابها.

لو كنتم تعلمون ما يتوجب اجتيازه وإظهاره للوصول إلى العصيان.

الأسقف: أشك بذلك يا صغيرتي. لن يكون لنظام العالم معنى لو سُمح فيه بكل شيء – أو كل شيء تقريباً. ولكن إذا كانت خطاياك مزيفة، بوسعك الحديث عنها الآن.

إيرما: آه، كلا! أسمع اعتراضاتكم ما أن تعودون. كلا، لقد كانت المعاصي حقيقية. (للمرأة) انزعي رباط حذائه. اخلعي عنه حذاءه. البسيه ملابسه كي لا يتعرض للفحة برد. (إلى الأسقف) هل تريدون شراباً ساخناً محلّى؟

الأسقف: شكراً. ليس لدي وقت، عليّ أن أرحل. (حالماً). حسناً، ست معاصٍ، ولكنها أساسية!

إيرما: اقتربوا، سنخلع لكم ملابسكم!

الأسقف (ينحني على ركبتيه تقريباً متوسلاً): لا، لا، ليس الآن.

إيرما: هذا الوقت المناسب. هيا بنا! بسرعة! بسرعة أكبر!

(يخلعون ملابسه وهم يتكلمون. لم ينزعوا بالأحرى إلا دبابيس، وفكوا الشرائط التي تمسك الرداء الواسع والبطرشيل والكتونة).

الأسقف (يخاطب المرأة): هل ارتكبت المعاصي ببراعة؟

المرأة: نعم.

الأسقف: عندما كنت تقتربين مني وتمدين وجهك، ألم تكن الانعكاسات النارية تشع منه؟

المرأة: نعم.

الأسقف: وعندما وضعت يدي التي تلبس خاتماً على جبهتك لتعفو عنك...

المرأة: نعم.

الأسقف: وهل كانت نظراتي تغوص في عينيك الجميلتين؟

المرأة: نعم.

إيرما: سيدي، هل ظهر الندم في عينيها الجميلتين على الأقل؟

الأسقف (ينهض): ظهر بسرعة، ولكن هل كنت أبحث في عينيها عن الندم؟ رأيت فيهما الرغبة الجامحة بالخطأ.

الأسقف (يقترب من المرآة ببطء، يتوقف أمامها): ...أجيبي أيتها المرآة، أجيبيني. هل جئت إلى هنا كي أكتشف الشر والبراءة؟ (إلى إيرما، بهدوء كبير). اخرجي! اتركيني بمفردي!

إيرما: الوقت متأخر. لن يكون بوسعكم الذهاب من دون أن تتعرضوا للخطر...

الأسقف (متوسلاً): فقط دقيقة.

إيرما: أنتم هنا منذ ساعتين وثلث. وهذا يعني أنكم تأخرتم عشرين دقيقة...

الأسقف (مغتاظاً فجأة): اتركيني وحيداً. تنصتي من خلف الأبواب لو شئت، أعرف بأنك تقومين بذلك، وعودي عندما سأنتهي.

(تخرج المرأتان وهما تتنهدان، ويبدو عليهما التعب).

(يبقى الأسقف وحيداً، وبعد أن قام بجهد منظور لتهدئة نفسه، يقف أمام المرآة ويمسك بكتونته): ... أجيبيني أيتها المرآة، أجيبيني. هل جئت إلى هنا لأكتشف الشر والبراءة؟ ماذا كنت في زجاجك المذهب؟ ما رغبت بالعرش الأسقفي على الإطلاق، أؤكد ذلك أمام الله الذي يراني. أن أصبح أسقفاً وأرتقي المراتب – بقوة الفضائل أو الرذائل – فهذا أمر يبعدني عن الكرامة الحتمية كأسقف. أفسر لنفسي: (يتحدث الأسقف بنبرة دقيقة جداً،

كما لو كان يسعى للحصول على استنتاج) كي أصبح أسقفاً، توجب علي أن أجدّ بألا أكون أسقفاً، بل أن أقوم بما يقودني لأصبح أسقفاً. بالنسبة إلي طبعاً، كي أكون أسقفاً! ــ توجب عليّ مواصلة تعليم نفسي في أن أكون أسقفاً كي أقوم بمهامي.

(يلتقط قبعة ردائه ويقلبها).

آه، أيها الدانتيل، أيها الدانتيل، الذي صنعته آلاف الأيدي الصغيرة ليخفي الكثير من الأشداق اللاهثة والمتخمة، والوجوه والشعر، فأنت تزينني بالفروع وبالأزهار! فلنعد من جديد.

لكن ــ هنا تكمن العقدة (يضحك) آه! أتكلم باللاتينية! – أية وظيفة هي وظيفة أسقف. فهي ليست نمطاً للوجود. ومع ذلك، فإن أي أسقف هو نمط وجودي. إنه عبء. شيء ثقيل. التاج الأسقفي، الدانتيل، النسيج المذهب، والخرز والركوع... فليذهب الواجب إلى المراحيض.

(دوي رشيش)

إيرما (تمرر رأسها من الباب المفتوح نصف فتحة): هل انتهيت؟

الأسقف: اتركيني بحق الرب. اذهبي! فأنا أستجوب نفسي.

(تغلق إيرما الباب)

إن الجلالة والكرامة اللتان تتوران شخصي لا تصدران عن صلاحيات وظيفتي ــ ولا عن السماء! لا تصدران إلا عن استحقاقاتي الشخصية. ــ إن الجلالة والكرامة اللتين تتوراني، تأتيان عن أُبهة شديدة الغموض، وهي أن الأسقف يسبقني. أيتها المرآة هل قلت لك ذلك، أيتها الصورة المذهبة والمزينة مثل علبة سيكار مكسيكي؟ وأريد أن أكون أسقفاً في العزلة من أجل المظهر وحده... ومن أجل هدم أية وظيفة، أريد أن أحمل العار وأن ترفعي أطراف ثوبك، أيتها العاهرة، أيتها المومس القذرة، أيتها المومس، أيتها العاهرة...

إيرما (تعود): يكفي الآن، يتوجب عليكم الرحيل.

الأسقف: أنت مجنونة، لم أنتهِ.

(عادت المرأتان)

إيرما: لا أبحث عنكم، أنتم تعرفونه، الشجار من أجل المتعة، ولكن ليس لديكم وقتٌ تضيعونه.... أكرر لكم بأن ثمة خطراً يتربص بالناس في الطرقات.

(ضجة صادرة عن إطلاق الرصاص، تُسمع من بعيد)

الأسقف (متألماً): أنت تسخرين كثيراً من سلامتي. وعندما ينتهي كل شيء، فأنت تسخرين من العالم!

إيرما (إلى الفتاة): لا تصغي إلى ذلك، واخلعي ملابسه.

(إلى الأسقف الذي نزل عن قبقابيه، يبدو الآن بالأبعاد العادية لممثل، من أتفه الممثلين): ساعدوا أنفسكم، فأنتم أقوياء.

الأسقف (شكله أبله): قوي؟ هل أنا قوي؟ قوة مهيبة! ثبات حتمي...

إيرما (إلى الفتاة): أعطه سترته...

الأسقف (ينظر إلى ملابسه الرثة المتكومة على الأرض): أعود إلى ذاتي بواسطتك أيتها الزينات والدانتيل، وأستولي مجدداً على مجال ما. أستثمر مكانة قديمة جداً وقوية من حيث طُردت. أُقيم في فلاّة حيث يكون الانتحار ممكناً في النهاية. القرار يعود إلي، وها آنذا مع موتي وجهاً لوجه.

إيرما: هذا جميل، ولكن يتوجب الرحيل. لقد ركنتم سيارتكم على بوابة الطريق قرب السارية... (وضع الأسقف على ملابسه المدنية رداءه الأسقفي المذهب بسرعة كبيرة).

الأسقف (إلى إيرما): لأن رئيس شرطتنا، هذا العاجز المسكين يتركنا نُذبح بواسطة الأوباش! (يلتفت إلى المرآة وينشد شعراً). الزينات! التاج الأسقفي! الدانتيل! وبخاصة المعطف الأسقفي المذهب، أنت تحميني من العالم. أين قدماي، أين ذراعاي؟ ماذا تفعل يداي تحت ذيولك المتموجة اللامعة الجليدية ؟ عاجزتين عن فعل شيء آخر سوى رسم حركة بهلوانية، لقد أصبحتا بقايا أجنحة متكسرة – ليست أجنحة ملاك ولكن أجنحة دجاجة فرعونية! – أنت تسمح أيها الرداء القاسي بأن يتهيأ في

الحر والظلمة ما هو أكثر حنواً وأكثر رقة ووضاءة. إن إحساني الذي سيُغرق العالم، موجود تحت هذا الدرع الذي قطرته... كانت يدي تخرج أحياناً مثل سكين لتبارك. أوه، تقطع وتحصد؟ كانت يدي تفصل أهداب رأس السلحفاة. رأس السلحفاة أو رأس أفعى حذرة؟ كانت تعود إلى الصخرة، وتحلم تحت يدي... زينات، رداء مذهب...

(يتحرك المشهد من اليسار إلى اليمين كما لو أنه يخترق الكواليس. وبعدئذ يظهر الديكور التالي).

اللوحة الثانية

الديكـور

الثريّا نفسها وثلاثة سواتر بنية اللون. المرآة نفسها على اليمين وتعكس السرير غير المرتب نفسه مثلما كان في اللوحة الأولى.

امرأة جميلة شابة تبدو مقيدة، يداها موثقتان. ثوبها المصنوع من الموسلين ممزق. ثدياها مكشوفان.

يقف بجانبها الجلاد. إنه ضخم وعار حتى حزام بنطاله. تبرز عضلات جسمه بوضوح. يمتد سوطه خلف قفل حزامه، يبدو من ظهره وكأنه يملك ذيلاً.

يظهر قاض، يبدو ضخماً وطويلاً عندما ينهض لأنه يستخدم قبقابين غير مرئيين تحت ثوبه هو أيضاً، ويضع الماكياج على وجهه، بطنه مسطح، ينزلق زاحفاً باتجاه المرأة التي تتراجع نسبياً.

السارقة (تمد قدمها): ليس بعد! داعب! داعب أولاً...

(يقوم القاضي بجهدٍ ليزحف أكثر، ثم ينهض ويبدو سعيداً، ويذهب ببطء وبمشقة ليجلس على مقعد صغير).

(السارقة، هذه السيدة التي تم وصفها آنفاً، تُغير من هيئتها وتتحول من سيدة مهيمنة إلى وضيعة).

القاضي (صارماً): لأنك سارقة! تمت مداهمتك... من داهمك؟ الشرطة... أنسيت أن رجال شرطتي الفولاذيين هم شبكة حاذقة وصلبة تحاصر تحركاتك؟ إنهم حشرات، نظراتهم متحركة، ترتكز على المحور، إنهم يراقبونك. الأسيرات جميعهن، تُجلبن إلى القصر... ماذا يوجد تحت تنورتك؟ (إلى الجلاد). مرّر يدك تحت التنورة، ستجد جيباً، جيب الكنغر المشهور. (يخاطب السارقة). آمل أن تكوني قد ملأته بكل ما سرقته بلا تفريق، لأنك لا تشبعين وتتصرفين بلا تمييز. فضلاً عن ذلك، أنت حمقاء... (مخاطباً الجلاد). ماذا كان يوجد في جيب الكنغر هذا؟ في هذه المعدة الضخمة المنتفخة؟

الجلاد: زجاجات عطر سيدي القاضي، ومصباح وزجاجة خمر من نوع "فلاي توكس" وبرتقال وعدة أزواج من الأحذية، ونباتات وأعشاب برية، ومنشفة ووشاح. (مخاطباً القاضي) هل سمعتني؟ لقد قلت وشاح.

القاضي (يقفز): وشاح؟ آه، آه. لقد وصلنا. ماذا يفعل الوشاح هنا، (هم) ماذا يفعل الوشاح هنا؟ من تريدين أن تخنقي

به؟ أجيبيني. من تريدين أن تخنقي؟... أنت سارقة أم خانقة؟ (بصوت رقيق ومتوسل). قولي لي يا صغيرتي، أتوسل إليك أن تقولي لي بأنك لست إلا سارقة.

السارقة: نعم سيدي القاضي!

الجلاد: لا!

السارقة (تنظر إليه مندهشة): لا؟

الجلاد: هذا سيأتي فيما بعد.

السارقة: ماذا؟

الجلاد: قلت بأن الاعتراف سيأتي في وقته. أنكري.

السارقة: كي أتلقى المزيد من اللكمات!

القاضي (بخبث): تماماً، يا صغيرتي، هذا كي تتلقي المزيد من اللكمات. عليك أن تنكري في بادئ الأمر من أجل أن تعترفي وتندمي فيما بعد. أريد أن أرى الماء العذب يتدفق من عينيك الجميلتين. آوه؟ أريد أن تبللي عينيك. يا لقوة الدموع!... أين قوانيني!

(يبحث تحت تنورتها ويلتقط كتاباً).

السارقة: لقد بكيت في السابق...

القاضي (يبدو بأنه يقرأ): بكيت جراء اللكمات. أريد دموع الندم. عندما سأراك مبللة مثل مرج، سأكتفي.

السارقة: هذا الأمر ليس سهلاً. حاولت البكاء منذ لحظة...

القاضي (يتوقف عن القراءة، وبنبرة مسرحية شبه عامية): أنت شابة. أنت شابة (قلقاً). على الأقل أنت لستِ قاصرة.

السارقة: لا، لا يا سيدي...

القاضي: ناديني بسيدي القاضي. متى وصلت؟

الجلاد: قبل البارحة، سيدي القاضي.

القاضي (يستعيد النبرة المسرحية ويواصل القراءة): دعها تبكي. أحب هذا الصوت الخائر، هذا الصوت المتقطع... أصغي، عليك أن تكوني سارقة نموذجية، إذا أردت أن أكون قاضياً نموذجياً. إذا كنت سارقة مزيفة، أصبح قاضياً مزيفاً. هل هذا واضح؟

السارقة: آ، نعم سيدي القاضي.

القاضي (يواصل القراءة): حسناً، كان كل شيء يسير سيراً حسناً حتى هذه اللحظة. كان جلادي يضرب بقسوة... لأنه يقوم بعمله هو أيضاً. نحن مرتبطون ببعضنا البعض، أنا وأنتِ والجلاد. مثلاً، إذا كان الجلاد لا يضرب كيف سيكون بوسعي أن أوقفه عن الضرب؟ إذاً عليه أن يضرب كي أتدخل وأظهر سلطتي. وأنت عليك أن تتكري كي يضربك.

(تُسمع ضجة، سقط شيء ما في الغرفة المجاورة، بنبرة طبيعية): ما هذا؟ هل الأبواب كلها محكمة الإغلاق؟ لن يكون بوسع أي شخص أن يرانا أو يسمعنا أليس كذلك؟

الجلاد: كلا، كلا، هدئ من روعك. سحبت المزلاج. (يفحص المزلاج الضخم في الباب الموجود في عمق المسرح). والممر محظورٌ المشي فيه.

القاضي (نبرة طبيعية): هل أنت متأكد؟

الجلاد: أؤكد لك ذلك. (يضع يده في جيبه). هل أستطيع أن أغلقه بمشبك؟

القاضي (بنبرة طبيعية): رائحة التبغ توحي لي بالشواء.

(نفس الضجة التي صدرت قبل قليل). أوه، ولكن ما هذا؟ ما هذا؟ (ينهض). ماذا يجري؟

الجلاد (جافاً): لا شيء. سقط شيء ما. أنت متوتر الأعصاب ليس إلا.

القاضي (بنبرة طبيعية): هذا ممكن، ولكن عصبيتي تنبهني. تجعلني صاحياً. (ينهض ويقترب من الجدار). هل أستطيع المشاهدة؟

الجلاد: نظرة واحدة فقط، لأن الوقت متأخر.

(يرفع الجلاد كتفيه ويتبادل الجلاد والسارقة نظرة).

القاضي (بعد أن نظر): إنه مضيء... ومشع ولكنه فارغ.

الجلاد (يرفع كتفيه): فارغ!

القاضي (بنبرة أكثر ألفة): كان يبدو عليك القلق. هل من جديد؟

الجلاد: بعد ظهر هذا اليوم، قبل مجيئكم تماماً، سقطت ثلاث نقاط أساسية في أيدي الثوار. كانوا قد أشعلوا عدة حرائق، ولم يخرج أي رجل إطفاء. احترق كل شيء. والقصر...

القاضي: وقائد الشرطة؟ هل نال منهم كالمعتاد؟

السارقة: انقطعت أخباره منذ أربع ساعات. في حال استطاع الفرار سيأتي إلى هنا بالطبع. يُنتظر مجيئه بين لحظة وأخرى.

القاضي (جالساً يخاطب السارقة): على أي حال، من غير المحمود اجتياز جسر رويالد، فقد حدث فيه انفجار هذا الليل.

السارقة: كان ذلك معروفاً. سُمع صوت انفجار صادر عنه.

القاضي (استأنف النبرة المسرحية. يقرأ في الكتاب): وأخيراً، لنستأنف عملنا. إذاً، استفدت من نوم الأبرار، استفدت من نومهم للحظة واحدة، فنهبتهم وسرقتهم وسلبتهم ما يملكون.

السارقة: كلا يا سيدي القاضي، إطلاقاً...

الجلاد: هل أخطط جسدها بالسوط؟

السارقة (صارخة): أرتور!

الجلاد: ماذا اعتراك؟ لا توجهي الكلام إلي. أجيبي سيدي القاضي؟ وأنا، ناديني بسيدي الجلاد.

السارقة: حسناً، سيدي الجلاد.

القاضي (يقرأ): أعود إليكِ، هل سرقت؟

السارقة: نعم، نعم سيدي القاضي.

القاضي (يقرأ): حسناً، أجيبي الآن بسرعة وبشكل صحيح، ماذا سرقت أيضاً؟

السارقة: الخبز، لأنني كنت جائعة.

القاضي (ينهض ويضع الكتاب): يا للسمو! يا للعمل السامي! يتوجب عليّ أن أقاضي كل هذا. أوه، يا صغيرتي، أنت تصالحينني مع العالم. قاضٍ! سأصبح قاضياً من تصرفاتك! الوزن والاتزان يرتبطان بي. العالم عبارة عن تفاحة، أقسمها إلى قسمين، الطيبون والأشرار. وأنت توافقين، شكراً لك، أنت توافقين بأن تكوني الشريرة! (وجهه للجمهور). ترون بأعينكم، لا شيء في الأيدي، ولا شيء في الجيوب، أنزع العفن وألقي به. غير أن ذلك عمل مؤلم. لو نُطق به بجدية، فإن أي حكم سيكلفني حياتي. من أجل ذلك أنا ميت. أسكن في هذه المنطقة بحرية كاملة. ملك الجحيم، أعتمد على الأموات الذين مثلي. إنها منطقة ميتة مثلي.

السارقة: إنك تخيفني سيدي القاضي.

القاضي (بكثير من التصنع): اصمتي. أشاطر الناس الذين يخاطرون بأنفسهم للذهاب إلى عمق الجحيم. جزء منهم يكون في النيران، والجزء الآخر في هموم حقول الزنابق. أنت أيتها السارقة الجاسوسة الكلبة، إن الملاك مينوس

يكلمك، الملاك مينوس يقدرك. (متوجهاً إلى الجلاد) حارس شرس؟

الجلاد (مقلداً الكلب): عو، عو!

القاضي: أنت جميل! ونظرة الضحية الجديدة تزيدك جمالاً أيضاً. (يطوي شفاهه) هل تكشر عن أنيابك؟ إنها مخيفة وبيضاء. (فجأة يصبح قلقاً، يتوجه إلى السارقة) لكنك لا تكذبين على الأقل، أنت ارتكبت هذه السرقات؟

الجلاد: بمقدورك أن تكون هادئاً. قد لا يتوجب عليكم تنبيهها لئلاّ تفعل ذلك. بالأحرى سأجرجرها بالحديث.

القاضي: أنا سعيد تقريباً. تابعي. ماذا سرقت؟

(يصدر فجأة دوي رشيش)

لن ينتهي هذا على الإطلاق. لا يوجد لحظة من الراحة.

السارقة: قلت لك ذلك، لقد سيطرت الثورة على كل الأحياء في الشمال...

الجلاد: اخرسي!

القاضي (ساخطاً): هيا أجيبيني، بنعم أو بـــ لا؟ ماذا سرقت أيضاً؟ وأين؟ ومتى؟ وكيف؟ وكم؟ ولماذا؟ من أجل من؟

– أجيبي.

السارقة: كثيراً ما دخلت إلى المنازل خلال غياب الخادمات، وكنت أستخدم سلم الخدم... كنت أسرق من الأدراج وكسرت حصالة أطفال. (تبحث عن كلمات بصورة

ملحوظة). ومرة تتكرت بصورة امرأة نزيهة. لبست زياً يتألف من طقم بني قاتم وقبعة من القش الأسود تزينها كرزات وبرقع صغير، وحذاءً أسود، جزمة سوداء بكعب عال، وعندئذ دخلت...

القاضي (مستعجلاً): أين؟ أين؟ أين؟ أين؟ أين؟ أين؟ أين دخلت؟

السارقة: لم أعد أعرف، اعذرني.

الجلاد: هل أضرب؟

القاضي: ليس الآن. (متوجهاً للفتاة). أين دخلت؟ قولي لي أين؟ أين؟ أين؟ أين؟ أين؟ أين! أين!...

السارقة (مذعورة): أقسم لكم. لم أعد أعرف.

الجلاد: هل أضربها؟ سيدي القاضي، هل أضربها؟

القاضي (مخاطباً الجلاد ومقترباً منه): آ! آ! متعتك مرتبطة بي. أنت تحب الضرب أليس كذلك؟ أوافقك، أيها الجلاد! كمية رائعة وكبيرة من اللحم، حي من اللحم يتحرك بقرار مني (يتظاهر بأنه يرى نفسه في الجلاد). أيتها المرآة التي تعظمينني! أحبك فأنت الصورة التي أستطيع لمسها. قد لا يكون لدي القوة إطلاقاً ولا حتى المهارة لأترك على ظهرها خطوطاً من النار. من جهة ثانية، ماذا سأفعل بالكثير من القوة والمهارة؟ (يلمس الجلاد). هل أنت هنا؟ هل أنت هنا؟ يا ذراعي القوية، الثقيلة جداً عليّ، والضخمة جداً، والممتلئة بالنسبة لكتفي والتي تمشي

وحيدة بجانبي! ذراع تحتوي على قنطار من اللحم، بدونك لن أكون أي شيء... (مخاطباً السارقة). وبدونك أنت يا صغيرتي لن أكون أي شيء أيضاً. فأنتما تكملاني كلياً... آه الثلاثي الجميل الذي نشكله! (مخاطباً السارقة). أما أنت، فلك فضل عليه، ومن ناحية ثانية لك فضل عليّ، فضل سابق. وجودي كقاضٍ منبثق عن وجودك كسارقة. يكفي أن ترفضي... ولكنك لن تجرئي على فعل ذلك!... أن ترفضي أن تكوني من تكونين – أن ترفضي ما أنت عليه، إذاً أن ترفضي من تكونين – من أجل أن أنتهي من أن أكون... وأن أختفي متبخراً. مفزوراً. متلاشياً. نكرة. من أين: الخير الناجم عن... ولكن وقتئذٍ؟ ولكن عندئذٍ؟ لن ترفضي، أليس كذلك؟ لن ترفضي أن تكوني سارقة؟ سيكون ذلك شراً. سيكون ذلك إجرامياً. ستحرمينني من أن أكون! (متوسلاً، متضرعاً). قولي يا صغيرتي، يا حبيبتي، لن ترفضي أليس كذلك؟

السارقة (بدلال): من يعرف؟

القاضي: كيف؟ ماذا تقولين؟ سترفضين؟ قولي لي أين؟ وقولي لي أيضاً ما الذي سرقته؟

السارقة (غير مكترثة، تنهض): لا.

القاضي: قولي لي أين؟ لا تكوني فظة...

السارقة: هل تسمح بألا تخاطبني بصيغة المفرد؟

القاضي: آنسة... سيدة. أتوسل إليكم. (يرتمي على قدميه). انظروا حضرتكم، أتوسل إليكم. لو سمحتم لا تتركوني في موقف مماثل انتظر كي أصبح قاضياً؟ لو لم يكن ثمة قاضٍ إلى أين كنا سنذهب، ولكن إذا لم يكن ثمة سارقون؟

السارقة (بتحكم): وإذا لم يكن ثمة سارقون؟

القاضي: سيكون ذلك مريعاً. ولكنكم لن تحتالوا عليّ بحيلة مماثلة، أليس كذلك؟ لن تتصرفوا وكأنه لا يوجد سارقون؟ اجعليني أفهم جيداً، بأنك تخفين منذ زمن طويل قدرتك على فعل ذلك، وبأن أعصابي ستحتمل هذا الأمر، بعد رفض الاعتراف، وبأن تجعليني أضجر وأخبط الأرض بطريقة سيئة وأن أتململ وأن يسيل لعابي وألهث وأنزعج وأصهل من نفاد صبري وأزحف... لأنك تريدين أن أزحف؟

الجلاد (مخاطباً القاضي): أتزحفون سيدي القاضي!

القاضي: أنا معتز بنفسي!

الجلاد (مهدداً): أتزحفون!

(القاضي الذي كان راكعاً، ينام منبطحاً على بطنه ويزحف بهدوء باتجاه السارقة. وما إن يقترب نسبياً حتىّ تتراجع السارقة). حسناً. استمروا.

القاضي (مخاطباً السارقة): لقد جعلتني أزحف بعد أن كنت قاضياً، أيتها الدلوعة، أنت محقة كل الحق، ولكن لو رفضت ذلك بصورة حتمية أيتها العاهرة، فإن ذلك سيكون إجرامياً...

السارقة (متعالية): نادني بالسيدة، واطلب مني بتهذيب.

القاضي: هل سأحصل على ما أريد؟

السارقة (بدلال): السرقة تكلف غالياً.

القاضي: سأدفع! سأدفع ما يتوجب عليّ سيدتي. ولكن إذا لم أعد مجبراً على فصل الخير عن الشر، فما الفائدة منيّ، أسألك سيدتي ذلك؟

السارقة: اسأل نفسي هذا السؤال.

القاضي (حزين لدرجة كبيرة): قبل قليل كنت سأصبح الملاك مينوس. كلبي الشرس كان ينبح. (مخاطباً الجلاد) هل تتذكر؟ (يقاطع الجلاد القاضي بأن يضرب بخيزرانته). كم كنت فظاً وشريراً! حسناً! وأنا كنت عديم الشفقة. أملأ الجحيم بالهالكين وأملأ السجون. السجون! السجون! السجون والزنزانات والأماكن المباركة حيث يكون الشر مستحيلاً طالما أن هذه الأماكن هي مفترق طرق أية لعنة للعالم، ومن غير الممكن إدانة ارتكاب الشر بالشر. ومع ذلك ليس الأمر إدانة من أرغب بإدانته خاصة، بل مقاضاته...

(يحاول أن ينهض)

الجلاد: ازحفوا. أسرعوا، عليّ أن أذهب لأرتدي ملابسي.

القاضي (مخاطباً الفتاة): سيدتي، سيدتي، أتوافقون، أتوسل إليكم. أنا جاهز لألحس بلساني حذاءكم ولكن قولوا لي بأنكم سرقتم...

السارقة (صارخة): ليس الآن! إلحس! إلحس! إلحس أولاً!

(يتغير المشهد من اليسار إلى اليمين، كما حدث في نهاية اللوحة السابقة، ويعود ليدخل في الكواليس من ناحية اليمين. ويُسمع دوي رشيش من بعيد).

اللوحة الثالثة

الديكــور

تتموضع ثلاثة سواتر أخرى مكان السابقة، غير أن لونها أخضر غامق. نفس الثريا. نفس المرآة التي تعكس سريراً غير مرتب. وثمة لوحة على أريكة تمثل راقصين فلولكلوريين بتنانير قصيرة مكسّرة يرافقهم حصان، وفي الغرفة سيد يبدو على ملامحه الخجل. إنه الجنرال، وقد خلع سترته وقبعته وقفازيه. تقف إيرما بالقرب منه.

الجنرال (يشير إلى القبعة والسترة والقفازين): يجب ألا تُترك هذه الأشياء هكذا.

إيرما: سيتم طيها ولفها...

الجنرال: يتوجب إخفاؤها.

إيرما: سيتم وضعها جانباً، وحتى يمكن حرقها.

الجنرال: آ، نعم، أنت محقة، أُفضل أن يتم حرقها! مثل المدن في الغسق.

إيرما: هل لمحت شيئاً عندما كنت قادماً؟

الجنرال: تعرضت لمخاطر كبيرة جداً. كان السكان يقفزون عن الحواجز، وأحياء برمتها تفيض بالمياه. والترسانة بصورة خاصة تبللت متفجراتها. والأسلحة صدِئت. توجب عليّ أن أسلك طرقاً جانبية كثيرة – غير أنني لم أصطدم بأي غريق.

إيرما: لن أسمح لنفسي بأن أسألك رأيك. كل شخص حر برأيه، وأنا لا أتعاطى السياسة.

الجنرال: إذاً لنتحدث عن شيء آخر. المهم هو كيف سأترك هذا البيت؟ سيكون الوقت متأخراً عندما سأخرج...

إيرما: فيما يتعلق بالتأخير...

الجنرال: هذا صحيح.

(يبحث في جيبه عن الحساب، يسحب بطاقات مصرفية ويعطيها لإيرما فتحتفظ بها في يدها).

إذاً عندما سأخرج، سأنزل ليلاً وبسرعة كبيرة، لأنه لا يوجد بصورة طبيعية أي شخص يرافقني؟

إيرما: اعتقد بأنه لا يوجد شخص للأسف. أرتور منشغل.

(صمت طويل).

الجنرال (ينفد صبره فجأة): لكن... ألن تأتي؟

إيرما: لا أدري ما الذي تفعله. كنت قد أوصيت بأن يكون كل شيء جاهزاً لدى وصولكم. الآن يوجد الحصان... سوف أقرع الجرس.

الجنرال: لا عليك، سأهتم بالأمر. (يقرع الجرس بكبسة على الزر). أحب قرع الجرس! فهذا أمر خاص بالسلطة. دقة الهجوم!

إيرما: حالاً يا جنرالي. أوه، عفواً، ها أنا أعطي معاليك... فبعد قليل ســـ...

الجنرال: اصمتي! لا تتحدثي عن ذلك.

إيرما: لديكم قوة وشباب! وحيوية!

الجنرال: ومهمازات: هل سيكون لديّ مهمازات؟ كنت قد قلت بأن تُثبت في جزمتي. جزمتي الأكاجو أليس كذلك؟

إيرما: نعم جنرالي. أكاجو. ومطلية بالبرنيق.

الجنرال: بالبرنيق، ولكن لتكن مع الطين؟

إيرما: بالطين، وربما بالقليل من الدم. حضرت الأوسمة.

الجنرال: هل الأوسمة أصلية؟

إيرما: إنها أصلية.

(فجأة تصدر صرخة طويلة لامرأة).

الجنرال: ما هذا؟

(يقترب من الحائط وقبل أن ينخفض ليشاهد تتدخل إيرما).

إيرما: لا شيء، لا زال يوجد حركات غير محترمة من جهة أو أخرى.

الجنرال: ولكن هذه الصرخة، هي صرخة امرأة؟ ربما هي دعوة للنجدة؟ دمي الذي ينتفض لم يقم إلا بدورة... يقذفني بسرعة...

إيرما (متجمدة): لا يوجد قصص هنا، هدئ من روعك. الآن أنت في اللباس المدني.

الجنرال: هذا صحيح.

(صرخة جديدة صادرة من امرأة).

حتى أن هذا يبعث الاضطراب. فضلاً عن ذلك إنه مزعج.

إيرما: ولكن ماذا تفعل المرأة؟

(تذهب لترن الجرس، فإذا بشابة رائعة الجمال تدخل من الباب الأمامي، حمراء الوجه والشعر، شعرها محلول وأشعث. صدرها عارٍ تقريباً. لا تلبس إلا مشد أسود اللون، وجوربين أسودين وحذاء بكعب عالٍ جداً. تحمل بزة الجنرال بكاملها، والسيف والقبعة والجزمة).

الجنرال (صارماً): وأخيراً وصلت؟ تأخرت نصف ساعة. فهذا أكثر ما يجب لخسارة معركة.

إيرما: ستشتري نفسها مجدداً يا جنرالي. فأنا أعرفها.

الجنرال (ينظر إلى الجزمة): والدم؟ لا أرى الدم؟

إيرما: لقد جفّ. لا تنس بأن هذا الدم هو دم معاركك القديمة. حسناً. أتركك. ألا تحتاج لشيء ما؟

الجنرال (ينظر يميناً ويساراً): كنت قد نسيت...

إيرما: يا إلهي! في الواقع، كنت أنسى.

(تضع الحقيبة من يدها على الكرسي. ثم تخرج من العمق. يذهب الجنرال إلى الباب ثم يغلقه بالمفتاح، ولكن ما أن يتم إغلاق الباب حتى يُسمع طرق عليه. تذهب الفتاة لفتحه. من خلف الباب يتراجع الجلاد قليلاً، يبدو متعرقاً ويمسح عرقه بفوطة).

الجلاد: هل السيدة إيرما موجودة هنا؟

الفتاة (بجفاء): في حديقة الورد. (تستأنف الكلام). عفواً، في غرفة التَّسْجية.

الجنرال (مغتاظاً): أتمنى أن أحصل على الهدوء. لقد تأخرت، ماذا كنت تفعلين؟ ألم تحصلي على حقيبتك المصنوعة من الشوفان؟ هل لك أن تبتسمي؟ ألا تبتسمين لفارسك؟ هل تذكرين يده الناعمة والقوية؟ (يداعبها) يا جوادي الجامح! يا فرسي الجميلة، لقد انتصرنا على الأعداء برفقتك.

الفتاة: ولم ينته الأمر! حذائي ذو النضوات وقوائمي أعصابها قوية، أريد أن أجول العالم. انزع بنطالك وحذاءك الذي ألبستك.

الجنرال (يأخذ الجنرال خيزرانة): نعم ولكن اركعي على ركبتيك أولاً! على ركبتيك! هيا بنا، هيا بنا، اثني كوعيك، اثني...

(تشّب الفتاة، ويُسمع صوت صهيل ناجم عن متعتها، وتركع مثل حصان السيرك أمام الجنرال).

أحسنت! أحسنت، أيتها الفتاة النقية! لم تنسي شيئاً. والآن ستساعدينني وتجيبين على أسئلتي. فهذا ضمن سياق مهرة طيبة تساعد سيدها على فك أزرار سترته ونزع قفازيه وتعامله بالمثل. في هذه الحالة إبدأي بفك أربطة حذائي.

(أثناء المشهد الذي سيلي هذا المشهد، ستساعد الفتاة الجنرال على خلع ملابسه ومن ثم على إلباسه بصورة عامة. وعندما يصبح الجنرال مرتدياً ملابسه بكاملها، ستتم ملاحظة أنه اتخذ حجماً ضخماً بواسطة الخدع المسرحية: القبقاب غير المنظور وكتفيه العريضتين ووجهه الذي يغطيه الماكياج إلى أقصى درجة).

الفتاة: هل ما تزال قدمك اليسرى منتفخة؟

الجنرال: نعم. إنها قدم الانطلاق. فهي التي تضرب الأرض مثل حافرك عندما تهزين رأسك.

الفتاة: ماذا أفعل؟ أأفك أزرار ملابسك؟

الجنرال: هل أنت حصان أم أمية؟ لو كنت حصاناً، لهززت برأسك. ساعديني. اسحبي. اسحبي بقوة أقل، هيا، فأنت لست حصاناً للحراثة.

الفتاة: أقوم بما ينبغي أن أقوم به.

الجنرال: هل تتمردين؟ الآن؟ انتظري كي أصبح جاهزاً. عندما سأضع حديدة اللجام في بوزك...

الفتاة: أوه لا، لا تفعل ذلك.

الجنرال: لقد صار حصان الجنرال يذكره بالنظام! سأضع لك الرسن واللجام والسرج والسير تحت بطنك، سترفسين وستلبسين خوذة، فأضربك بالسوط وأهجم عليك!

الفتاة: اللجام، هذا مريع. اللجام سيجعل لثتي تنزف وسيمزق شفاهي. سيسيل لعابي.

الجنرال: إزبدي الورد وتغوطي النار! ولكن بأية سرعة ستنطلقين! في حقول السُلت وفي حقول الفصة وعلى المروج، والدروب المغبرّة وفي الجبال الراقدة أو الناهضة من الفجر حتى الغسق ومن الغسق حتى...

الفتاة: اخلع القميص، واسحب الشوطات. إنه لأمر عظيم أن نُلبس جنرالاً منتصراً وأن نحتفل. هل تريد السيف؟

الجنرال: دعيه على الطاولة، مثل القائد لافاييت. وطبعاً خبّـئي الملابس. لا أدري أين ستخبئينها، يجب العثور على مخبأ في مكان ما؟

(تصر الفتاة الملابس وتخفيها وراء المعقد).

القميص؟ حسناً. هل الميداليات كلها موجودة؟ عديها.

الفتاة (بعد أن عدت الميداليات بسرعة كبيرة): كل الميداليات موجودة يا قائدي.

الجنرال: والحرب؟ أين هي الحرب؟

الفتاة (برقة كبيرة): إنها تقترب يا قائدي. لقد حلّ المساء على بساتين أشجار التفاح. السماء هادئة ووردية. سلام مفاجئ. شكوى الحمام يسبق المعارك ويغمر الأرض. الجو ممتع للغاية. سقطت تفاحة على العشب. إنها تفاحة صنوبر. الأشياء تحبس أنفاسها. أُعلنت الحرب. الطقس جميل...

الجنرال: ولكن فجأة؟

الفتاة: نكون على حافة المرج. اندفع وأصهل. فخذك دافئ وتضغط على خصري. الموت...

الجنرال: ولكن فجأة؟...

الفتاة: الموت يقظ. إصبع على فمه، فهذه الإصبع تدعو إلى الصمت. تنير الطيبة القصوى الأشياء.

أنت نفسك لم تعد منتبهاً لوجودي،...

الجنرال: ولكن فجأة؟...

الفتاة: فك أزرارك لوحدك، يا قائدي. كان الماء ساكناً في المستنقعات. كانت الريح ذاتها تنتظر أمراً لتهز الأعلام...

الجنرال: ولكن فجأة؟...

الفتاة: فجأة؟ هم؟ فجأة؟ (تبدو أنها تبحث عن كلمات). آه، نعم، وفجأة، كان الحديد والنار! الأرامل! يتوجب نسج كيلومترات من القماش الحريري لوضعها على الرايات. كانت عيون الأمهات والزوجات تحت خمارهن بلا دموع. كانت أجراس الكنائس تسقط من أبراجها المتفجرة عند منعطف طريق، أخافني خط أزرق! شبيَّت ولكن يدك الثقيلة الرقيقة كبحتني وتوقفت رجفتي. استأنفت الهملجة. كم كنت أحبك يا بطلي!

الجنرال: ولكن... الأموات؟ ألم يكن ثمة أموات؟

الفتاة: كان الجنود يموتون وهم يخفضون الرايات. وأنت لم تكن إلا الانتصار والتسامح. تذكر ذات مساء...

الجنرال: كنت رقيقاً وأصبحت ثلجاً يتساقط. ورحت أُثلج على رجالي وأجعلهم يغوصون تحت أنعم الأكفان. رحت أثلج؟ يا للكارثة.

الفتاة: كانت فرقعة القذائف قد قسمت الليمون. في النهاية، كان الموت نشطاً. كان يذهب رشيقاً من الرجل الأول إلى

الآخر ويحفر جرحاً ويشعل عيناً، وينزع ذراعاً ويفتح شرياناً ويرصص وجهاً ويقطع صرخة ونغماً، لم يكن الموت يستطيع القيام بأكثر من ذلك. فقد كان في النهاية مرهقاً، ومات هو نفسه من التعب وغفا خفيفاً على أكتافك. ونام عليهما.

الجنرال (منتشياً من الفرح): توقفي، توقفي، لم تحن اللحظة، ولكنني أشعر بأن ذلك سيكون رائعاً. حمالة السيف؟ رائع! (ينظر في المرآة).

فاغام! الجنرال! رجل الحرب والاستعراض، ها أنا ذا في هيئتي النقية. لا أجرُ أي شيء خلفي ولا أية قوة عسكرية. كنت أتعلم ببساطة. إذا اجتزت الحروب دون أن أموت، واجتزت البؤس دون أن أموت، لو صعدت درجات دون أن أموت، فقد كان ذلك من أجل هذه اللحظة القريبة من الموت.

(يتوقف فجأة، يبدو بأن فكرة تقلقه).

ألن تقولي لي يا حمامتي؟

الفتاة: نعم سيدي؟

الجنرال: إلى أين وصل قائد الشرطة؟ (تقوم الفتاة بحركة برأسها تدل على النفي). لا شيء؟ دوماً لا شيء؟ في المحصلة، كل شيء ينفجر بين يديه. ونحن نضيع وقتنا؟

الفتاة (متعالية): إطلاقاً. على أية حال فإن ذلك لا يعنينا بشيء. أكمل كنت تقول: من أجل هذه اللحظة القريبة من الموت... وماذا بعد ذلك؟

الجنرال (متردداً): ... القريبة من الموت... حيث أكون في حالة العدم، ولكن هذه اللحظة هي انعكاس للأبدية في هذه المرايا، وأن صورتي... أنت محقة، لوني عرفك، عرف الفرس. سرحي شعرك بالمِحَسّة. أريد مهرة أنيقة الملابس. وبذلك، سننزل بعد قليل على وقع موسيقا التروميت – أمتطيك وأقودك – نحو المجد والموت، لأنني سأموت. إنه تماماً نزول إلى القبر المرتبط...

الفتاة: لا يا قائدي، أنت ميت منذ البارحة.

الجنرال: أعلم... ولكنه نزول احتفالي وبطولي عبر سلالم غير متوقعة...

الفتاة: أنت قائد ميت ولكنك فصيح.

الجنرال: لأن الميت هو حصان ثرثار. والذي يتكلم بصوت جميل جداً هو صورة. لم أعد إلا صورة ذلك الذي كنت. أنت الآن ستقبلين رأسي وتخفين عينّي، لأنني أريد أن أكون قائداً في العزلة. ليس فقط من أجلي، ولكن من أجل صورتي، وصورتي من أجل صورته وهكذا. باختصار، سنكون متعادلين. هل أنت جاهزة يا حمامتي؟

(تهز الفتاة رأسها موافقة)

حسناً تعالي. أعطني ثوبك يا حصاني، يا فرسي الأسباني الصغير.

(يمرر الجنرال حصان اللعبة على رأس الفتاة، ثم يصفق بسوطه).

مرحباً! (يُحيي صورته في المرآة). وداعاً يا قائدي!

(يتمدد بعد ذلك على الأريكة، ويضع قدميه على الكرسي ويحيي الجمهور ويظل ساكتاً وصارماً لا يتحرك مثل جثة. تجلس الفتاة قرب الكرسي وفي مكانها تجسد حركات حصان يسير).

الفتاة (ذات مظهر مهيب وحزينة): بدأ العرض... سنجتاز المدينة... سنمشي بمحاذاة النهر. أنا حزينة... السماء منخفضة. الشعب يبكي على بطل جميل جداً مات في الحرب...

الجنرال (يقفز): يا حمامتي!

الفتاة (تحول نظرها عنه وهي تبكي): قائدي؟

الجنرال: أضيفي بأنني مت واقفاً!

(ثم يعدل من جلسته).

الفتاة: بطلي مات واقفاً! يستمر الموكب. يسبقني ضباطك المرافقون لك... وها أنذا، أنا الحمامة، وحصانك في المعركة... والموسيقا العسكرية تعزف لحناً جنائزياً...

(تمشي الفتاة بثبات وهي تغني لحناً جنائزياً لشوبان، أوركسترا غير منظورة وآلات النفخ النحاسية تستمر بالعزف).

(يصدر من بعيد دوي رشيش).

(استطاع المخرج أن يعلق ألجمة أحصنة تربط كتفي الفتاة بالأريكة بحزام حيث نام الجنرال، وبهذه الطريقة سيكون بوسع هذا الطاقم مغادرة المشهد حيث تقوم الفتاة بجَّر الأريكة).

اللوحة الرابعة

الديكــور

الديكور عبارة عن غرفة فيها ثلاثة ألواح منظورة هي ثلاث مرايا تعكس عجوزاً قصيراً يرتدي لباس متشرد وشعره مسّرح بشكل جيد، ويجلس بلا حراك وسط الغرفة..

يوجد بالقرب منه فتاة رائعة الجمال حمراء البشرة. تلبس مشداً وجزمة من الجلد. فخذاها عاريان وجميلان. ترتدي معطفاً من الفراء. إنها تنتظر. العجوز القصير ينتظر أيضاً ويبدو عليه نفاد الصبر والتوتر. الفتاة واقفة بلا حراك.

ينزع العجوز القصير قفازيه المثقوبين وهو يرتجف. يسحب من جيبه منديلاً أبيض ويمسح وجهه. ينزع نظارته، يثنيها ويضعها في علبتها ثم يضع العلبة في جيبه. يمسح يديه بمنديله.

تنعكس كل حركات العجوز القصير في ثلاث مرايا. (يجب وجود ثلاثة ممثلين يقومون بدور الانعكاس على المرايا).

وفي النهاية يطرق ثلاث طرقات على الباب الخلفي. تقترب الفتاة الصهباء من الباب. تقول: "نعم". ينفتح الباب قليلاً ومن شق الباب تدخل يد وذراع إيرما وهي تحمل سوطاً وباروكة شعر متسخة ومنفوشة. تأخذهما الفتاة وينغلق الباب. يتهلل وجه العجوز القصير القامة.

تبدو الفتاة الصهباء متعالية وقاسية بطريقة مبالغ فيها. تقوم بلصق الباروكة على رأس العجوز بفظاظة.

يُخرج العجوز القصير من جيبه باقة صغيرة من أزهار اصطناعية، يمسكها كما لو كان يقدمها للفتاة التي تضربه بالسوط، وفجأة تنزعها منه بالسوط.

يتهلل وجه العجوز القصير ويصبح رقيقاً.

يُسمع دوي رشاش عن قرب.

يلمس العجوز القصير باروكته.

العجوز: والقمل؟

الفتاة (بحدة): يوجد فيها قمل.

اللوحة الخامسة

الديكــور

غرفة إيرما. أنيقة للغاية. إنها الغرفة ذاتها التي كانت تعكسها المرايا في اللوحات الثلاث الأولى. نفس الثُريا. دانتيل طويل ينزل من سقف المسرح. ثلاث أرائك. كوّة كبيرة على اليسار، يوجد بالقرب منها جهاز يساعد إيرما على رؤية كل ما يجري في الصالونات.

باب على اليمين. وباب على اليسار.

تقوم إيرما بالحسابات المالية وهي تجلس أمام طاولة الزينة.

بالقرب منها تجلس فتاة، إنها كارمن.

يُسمع دوي رشاش

كارمن (تعد النقود): الأسقف... ألفان... ألفان من القاضي... (ترفع رأسها) لا يا سيدتي ما يزال لا يدفع شيئاً. ولا شيء من قائد الشرطة.

إيرما (ممتعضة): سيصل إلينا إذا وصل... في حالة من حالات الغضب تلك! ومع ذلك...

كارمن: مثلما تقولين: يتوجب القيام بكل شيء لكسب الناس. ولكن ليس قائد الشرطة. (تحسب النقود). ألفان من الجنرال... ألفان من البحار... ثلاثة آلاف من الفتى الذي يسيل المخاط من أنفه...

إيرما: قلت لك ذلك يا كارمن، ليس كذلك، لا أحب هذا. أريد كسب احترام الزائرين. الزا ــ ئر ــ ين! حتى أنني لا أسمح لنفسي بأن أقول زبائن. ومع ذلك...

(تضرب نقوداً من فئة الألف فرنك الجديدة ببعضها بملل).

كارمن (تلتفت وتتفرس في وجه إيرما بقسوة): بالنسبة إليك سيدتي نعم: الشرطة والإفراط في الرقة!

إيرما (تريد أن تكون متصالحة): عيناك! لا تكوني ظالمة. منذ وقت وأنت غاضبة. الأحداث تجعل أعصابنا متوترة، لكن الوضع سيهدأ. الجميل سينهض. السيد جورج...

كارمن (بنفس النبرة التي تحدثت بها قبل قليل): آ، إنه هو!

إيرما: لا تقولي شيئاً ضد قائد الشرطة. لولاه لكنا في ورطة. نعم، نحن الاثنتان، لأنك مرتبطة بي وبه. (صمت طويل). إن حزنك يقلقني بصورة خاصة. (تبدو حكيمة) لقد تغيرت يا كارمن. حتى أنك تغيرت قبل بدء الثورة...

كارمن: لم يعد لديّ شيء مهم أقوم به عندك يا سيدة إيرما.

إيرما (مضطربة): ولكن... لقد أوكلت إليك القيام بحساباتي المالية. أنت تجلسين على مكتبي، وتكشفت فجأة أمامك حياتي برمتها. لم يعد لديّ أسرار أخفيها عنك، ولست سعيدة؟

كارمن: طبعاً أشكرك على ثقتك ولكن... لم يعد الأمر ذاته.

إيرما: هل اشتقت "إليها"؟ (تصمت كارمن) كارمن إننا نتذكر عندما كنت تصعدين إلى الصخرة المغطاة بالثلج وشجرة الورد المزهرة بورقة صفراء – التي سيتوجب عليّ أن أضع ما تبقى منها في الكهف – وعندما تظهرين يكون الشفاء بالمعجزة، ولم تكوني تهتمين بما هو جديّ؟ تكلمي كارمن؟

(صمت قصير)

كارمن: سيدة إيرما، أنت لا تسمحين بالحديث عن جلساتنا إطلاقاً. وبذلك فأنت لا تعرفين شيئاً عن حقيقة مشاعرنا. أنت تلاحظين ذلك من بعيد، يا مديرة البيت، ولكن لو كنت تلبسين لمرة واحدة الثوب والوشاح الأزرق، أو كنت التائبة المعترفة التي بكُلة ثوبها مفكوكة، أو مهرة الجنرال أو الفلاحة التي تتشقلب على القش...

إيرما (مصدومة): أنا!

كارمن: أو الخادمة اللعوب التي تلبس صدرية وردية، أو الدوقة التي فضّ بكارتها دركي أو... في النهاية لن أعد لك

قائمة بالمصطلحات والأسماء، تعرفين ما يتركه ذلك من آثار على الروح، ويتوجب التخلص منها بقليل من السخرية. ولكنك لا تريدين حتى الحديث عن ذلك فيما بيننا. أنت خائفة من ابتسامة ومن نكتة.

إيرما (حادة جداً): في الحقيقة، لا أوافق على المزاح. إن صدور ضحكة عالية أو ابتسامة تسقط كل شيء على الأرض. لو كان هناك ابتسامة لكان الشك. الزبائن يريدون احتفالات مهمة، مع التأوهات. نظام بيتي صارم. أعدك بلعبة ورق.

كارمن: إن حزننا لا يدهشك. (صمت) في النهاية، إنني أحلم بابنتي ولدي ما يعيقني في ذلك.

(تنهض إيرما على صوت جرس الباب، تذهب نحو قطعة الأثاث النادرة المتوضعة إلى اليسار، وهي نوع من سماعة هاتف مزودة بمعيان وعدد كبير من المقابض. عندما تتكلم، تنظر بعين المعيان بعد أن تخفض أحد المقابض).

إيرما (دون أن تنظر إلى كارمن): في كل مرة أطرح عليك سؤالاً ودياً نوعاً ما، تتجمّد ملامح وجهك، وينطق اسم ابنتك من بوزك. لا زلت تنوين الذهاب لرؤيتها؟ ولكن يا حمقاء يوجد النار والماء والتمرد والحديد بين البيت والريف حيث تسكن مرضعتك. أسأل نفسي فيما لو...

(رنة جديدة، ترفع السيدة إيرما مقبضاً وتنزل مقبضاً آخر...)

... فيما لو لم يكن السيد جورج قد نزل إلى الشارع. قائد شرطة يعرف كيف يحمي نفسه. جوجو ماكر! (تنظر إلى الوقت في ساعة انتزعتها من مشدها). لقد تأخر. (يبدو عليها أنها قلقة). أو أنه لم يجرؤ على الخروج. إنه ماكر ويخاف.

كارمن: يجتاز هؤلاء السادة القذائف بلا خوف بغية الوصول إلى صالوناتك، وأنا من أجل أن أرى ابنتي...

إيرما: بلا خوف؟ الخوف هو الذي يحرضهم. خلف جدار النار والحديد يستنشقون الخلاعة بالمنخر الواسع. هل تريدين أن نعود لتسوية حساباتنا المالية؟

كارمن (بعد صمت): بالإجمال إذا حسبت البحار والعابرين البسطاء يكون المبلغ اثنين وثلاثين ألفاً.

إيرما: كلما ازداد القتل في الضواحي، كلما زاد عدد الرجال المندسين في صالوناتي...

كارمن: الرجال؟

إيرما (بعد صمت): بعض الرجال. لا زالوا هم أنفسهم الذين تدعوهم مراياي وثرياتي. بالنسبة للبعض الآخر فإن البطولة محل المرأة.

كارمن (بمرارة): المرأة؟

إيرما: كيف ستسمين رجالي العظماء، وأيامي الجدباء الطويلة؟ لن يخصبوك على الإطلاق، ومع ذلك... لو لم تكونوا هنا؟

كارمن (بوقار، وتفرط في المجاملة): لديك أعيادك سيدة إيرما.

إيرما: حزني وكآبتي يأتيان من هذه اللعبة القاسية. لحسن الحظ لديّ مجوهراتي. حتى أنها في خطر هي أيضاً. (حالمة) لدي أعيادي... وأنت لديك حفلات فجور قلبك...

كارمن: ... لن يعالجوا الأشياء، أيتها المديرة. ابنتي تحبني.

إيرما (تبدو تربوية جداً هنا): أنت الأميرة البعيدة التي ستأتي لرؤيتها محملة بالألعاب والعطور. إنها تضعك في الجنّة. (تضحك بصخب) آه هذا قويٌ جداً، في النهاية، يعد ماخوري أي الجحيم، برأي شخص ما بمثابة الجنّة! إنه الجنّة بالنسبة لابنتك! (تضحك) هل ستجعلين منها عاهرة في المستقبل؟

كارمن: سيدة إيرما!

إيرما: صحيح، عليّ أن أتركك في ماخورك السري في ماخورك الثمين والوردي، في ماخورك العاطفي... هل تظنين بأنني فظة؟ بالنسبة لي أنا أيضاً، إن هذه الثورة توتر الأعصاب. من دون أن تحسبي حساباً لذلك، إنني أمر بفترات من الخوف والذعر... يبدو لي أن الثورة لا تهدف للاستيلاء على القصر الملكي ولكنها تهدف إلى أن يسود الهرج والمرج صالوناتي، وأنا خائفة يا كارمن. ومع ذلك فقد حاولت كل ما بوسعي، حتى أنني صليت. (تضحك بصعوبة) مثل شفائي بمعجزتك. هل جرحتك؟

كارمن (مصممة): مرتان في الأسبوع، يوم الثلاثاء والجمعة، تصور اللوردات النقي، توجب عليّ أن أقدم نفسي لمحاسب الادخار في ليون. بالنسبة لك كان عبارة عن نقود في الصندوق ومبرر الماخور، بالنسبة لي كان...

إيرما (مندهشة): لقد وافقت على ذلك. هل ظهرت أمامه غاضبة؟

كارمن: كنت سعيدة.

إيرما: حسناً؟ إذاً، أين الشر؟

كارمن: لقد رأيت تأثيري على محاسبي. لقد رأيت غشيته وعرقه، وسمعت خرخرته...

إيرما: يكفي. لم يعد يأت. كما أنني سألت نفسي لماذا لم يعد؟ ربما بسبب الخطر أو لعل زوجته قد عرفت؟ (صمت) أو إنه مات. اهتمي بحساباتنا المالية.

كارمن: لن تحل حساباتك محل ظهوري على الإطلاق. لقد أصبح ظهوري حقيقياً أيضاً كالظهور في لورد. كل شيء في نفسي الآن يتجه نحو ابنتي يا سيدة إيرما. فهي في حديقة حقيقية...

إيرما: لن تستطيعي الذهاب إليها، فالحديقة ستكون هنا في قلبك.

كارمن: اصمتي!

إيرما (صارمة): المدينة ممتلئة بالجثث. الطرق كلها مقطوعة. وقد جذبت الثورة إليها الفلاحين أيضاً. لنسأل أنفسنا لماذا انتشرت في مكان آخر. هل هي العدوى؟ الثورة وباء. وتحتوي طابعاً قدرياً مقدساً. أياً كانت الثورة، إننا سنجد أنفسنا منعزلين أكثر فأكثر. المتمردون يريدونها أن تنتشر بين رجال الدين وفي الجيش وفي هيئة القضاة وفيّ أنا إيرما "البترونه" ومديرة الماخور. أنت ستموتين مطعونة في البطن وستتبنى ابنتك إحدى الثوريات الفاضلات. وسنتحمل عناء كل شيء. (ترتجف)

(فجأة يُسمع رنين. تركض إيرما إلى الجهاز، تنظر وتسمع كما فعلت قبل قليل).

الصالة رقم 24، اسمها صالون الرمال. ما هي المشكلة؟

(تنظر بانتباه. صمت طويل).

كارمن (كارمن جالسة على طاولة زينة إيرما وتقوم بالحسابات من دون أن ترفع رأسها): الجوقة؟

إيرما (لا تزال عينها مثبتة على الجهاز): نعم، إنه عضو جوقة الشرف البطولية الذي يسقط في الرمال. قذفته راشيل بسهم أصاب أذنه، الحمقاء. يُخشى أن يكون قد تشوه. ما المغزى من أن يصوب عليك كعربي وتموتين – إذا صح التعبير – وأنت في وضعية الاستعداد على كومة من الرمل.

(صمت، تنظر بكل انتباه) راشيل تعتني به. إنها تحضر له ضمادة وهو سعيد بذلك. (مهتمة جداً بذلك). ويبدو أن ذلك يعجبه. اعتقد أنه قد يغير السيناريو وأنه عندما يرحل اليوم سيموت في المشفى العسكري تعتني به ممرضة... زي جديد يجب شراؤه. دوماً هناك مصروفات. (قلقة فجأة) أوه، ولكن ذلك لا يروق لي. لا يروق لي على الإطلاق. راشيل تقلقني شيئاً فشيئاً. أتمنى أن لا تلعب بي الجولة ذاتها التي لعبتها شانتال بصورة خاصة. (تلتفت إلى كارمن) وبخصوص شانتال، ألا يوجد أخبار عنها؟

كارمن: لا يوجد أي خبر.

إيرما (تعود إلى الجهاز): وهذا الجهاز الذي يعمل بصورة سيئة! ماذا قال لها؟ إنه يفسر... وهي تصغي... إنها تفهم. أخشى أن يفهم هو أيضاً.

(رنة جديدة. تشد مقبضاً جديداً وتشاهد).

إنذار خاطئ. إنه عامل الرصاص الذي ذهب.

كارمن: أي عامل رصاص؟

إيرما: الحقيقي.

كارمن: أيهما الحقيقي؟

إيرما: ذاك الذي يصلح الحنفيات.

كارمن: هل الآخر مزيف؟

إيرما (ترفع كتفيها، تضغط على المقبض الأول): آ، ما كنت أقوله رائع: قطرات الدم الثلاث أو الأربع التي نزفت من أذنه جعلته يتنفس. الآن سيدّلل نفسه. غداً صباحاً، سيكون متوازناً ليذهب إلى سفارته.

كارمن: هو متزوج، أليس كذلك؟

إيرما: من حيث المبدأ، لا أحب الحديث عن حياة الزائرين الخاصة. "الشرفة الفسيحة" معروفة في العالم. إنه البيت الأكثر إنسانية، إنه بيت الأوهام الأكثر نزاهة...

كارمن: نزاهة؟

إيرما: إنه متحفظ، ولكن لطالما تحدث معك بصراحة وبلا تحفظ، إنهم جميعاً متزوجون تقريباً.

(صمت)

كارمن (تفكر): عندما يكونون مع زوجاتهم في لحظات الحب، هل يحتفظون بسعادتهم القصيرة جداً والمنمنمة التي يقضونها في الماخور...

إيرما (تذكرها بالنظام): كارمن!

كارمن: عذراً سيدتي... في بيت الأوهام. كنت أقول: هل يحتفظون بسعادتهم القصيرة جداً التي يجدونها في بيت الأوهام بعيداً بعيداً وعميقاً في رأسهم ولكنها سعادة حاضرة؟

إيرما: هذا ممكن يا صغيرتي. يجب أن يكون البيت كذلك. مثل قنديل مضاء يوم الرابع عشر من تموز ينتظر قنديلاً آخر، أو إذا شئت مثل نور غير مرئي في نافذة غير مرئية لقصر غير مرئي للذين بوسعهم توسيعه بسرعة ليأتوا ويستريحوا فيه. (دوي رشيش). هل تسمعينهم؟ إنهم يقتربون. إنهم يسعون لقتلي.

كارمن (تستمر بالتفكير): ومع ذلك، ألا يجب القيام بالأشياء الحسنة في بيت حقيقي؟

إيرما (لا تزال مرتعبة): سينجحون في تطويق الماخور قبل وصول السيد جورج... حدثٌ يجب تذكره – إذا تمت النجاة منهم – والجدران ليست مدعمة والنوافذ شقوقها غير مسدودة... فكل ما يجري في الشارع يُسمع. ومن الشارع يُسمع كل شيء يجري في البيت...

كارمن (لا تزال تفكر): يجب القيام بالأعمال الجيدة في بيت حقيقي...

إيرما: من الصعب جداً معرفة ذلك، ولكن يا كارمن إذا اتفقت بناتي على التفكير بمثل هذه الطريقة سيكون خراب الماخور. في الواقع، أظن أنك اشتقت لظهورك. اسمعي، بوسعي القيام بشيء ما من أجلك. وعدت ريجين بذلك، ولكنني أقدمه لك، طبعاً إذا أردت. البارحة أخبروني بالهاتف عن القديسة تيريزا... (صمت) آه بالطبع،

أخبروني عن التصور النقي في القديسة تيريزا، إنه انهيار، ولكنه ليس سيئاً أيضاً... (صمت) لماذا أنت صامتة؟ من أجل رجل مصرفي. أنت تعرفين بأنه نظيف، وغير متطلب. سأقدمك إليه. إذا تم سحق الثوار طبعاً.

كارمن: أحب ثوبي ووشاحي وشجيرة الورد.

إيرما: في "سانت تيريزا" يوجد أيضاً شجيرة ورد. فكري.

(صمت)

كارمن: وماذا ستكون التفاصيل الأصيلة؟

إيرما: الخاتم. لأنه فكر بكل شيء. خاتم الزواج. أنت تعلمين بأن الزواج من شريعة الرب، كل امرأة متدينة تضع خاتماً. (حركة اندهاش تنبعث عن كارمن). نعم، وبذلك سيعلم بأنه كان على علاقة بمتدينة حقيقية.

كارمن: والتفاصيل المزيفة؟

إيرما: لا تزال هي ذاتها تقريباً، الدانتيل الأسود تحت تنورة غليظة الملمس. هل توافقين؟ فأنت تمتلكين الوداعة التي يحبها، سيكون سعيداً.

كارمن: في الحقيقة أنت طيبة لأنك تفكرين به.

إيرما: أنا أفكر بك.

كارمن: كم أنت طيبة، أقول ذلك بلا سخرية سيدة إيرما، بيتك يحمل التعازي لنفسه. تصعدين وتحضرين مسارحهم

السرية... أنت على الأرض. والبرهان على ذلك هو أنك تقبضين المال. وهم... إن يقظتهم فظة. يجب البدء مجدداً بكل ما انتهى بصعوبة.

إيرما: من أجلي لحسن الحظ.

كارمن:... البدء مجدداً بكل شيء، ودوماً المغامرة ذاتها، التي ما رغبوا بالخروج منها على الإطلاق.

إيرما: أنت لا تفهمين من ذلك شيئاً. إني أرى ذلك في أعينهم، وبعد ذلك يصبح ذهنهم نقياً، ويفهمون الرياضيات فجأة، ويحبون أطفالهم ووطنهم مثلك.

كارمن (متغطرسة): ابنة ضابط عالي الرتبة...

إيرما: أعرف، يجب أن تكون واحدة منهن على الدوام في الماخور. ولكن قولي بأن الجنرال والأسقف والقاضي لا زالوا يعيشون...

كارمن: عمن تتحدثين؟

إيرما: عن الحقيقيين.

كارمن: هل هم حقيقيون؟ أولئك الذين يأتون إلينا؟

إيرما: الآخرون. إنهم في الحياة دعامات استعراض، عليهم أن يغوصوا بوحل الواقع والحياة اليومية. فالمسرح والمظهر هنا يحافظان أنقياء على الحفل النقي.

كارمن: الاحتفالات التي تعرض عليَّ...

إيرما (تقاطعها): اعرفها: إنها نكران لاحتفالاتهم.

كارمن: هل تلوميني على ذلك؟

إيرما: احتفالاتهم هي نكران لاحتفالاتنا. فهم يحبون أطفالهم أيضاً. وبعد ذلك. (رنة جديدة مثل سابقاتها. تلتفت إيرما التي لا تزال جالسة قرب الجهاز، تثبت عينها على الفاحص وتقرب السماعة من أذنها. تعود كارمن إلى حساباتها).

كارمن (دون أن ترفع رأسها): هل هو السيد رئيس الشرطة؟

إيرما (تصف المشهد): لا، إنه صبي المطعم الذي وصل. يبدو متذمراً... حسناً، إنه غاضب لأن إلليان جلبت له مريولاً أبيض.

كارمن: كنت قد قلت لك بأنه يريده زهري اللون.

إيرما: ستذهبين غداً إلى السوق إذا كان غير مغلق، لتشتري منفضة من الريش للمستخدم في الشركة الوطنية للسكك الحديدية الفرنسية، منفضة من الريش لونها أخضر.

كارمن: على الرغم من أن إليان لا ينسى أن يترك البقشيش على الأرض. إنه يطالب بثورة حقيقية، وبكؤوس قذرة.

إيرما: يريدون أن يكون كل شيء على أفضل ما يمكن... باستثناء شيء لا يمكن تحديده سيقرر أن ذلك مزيف. (تغير النبرة). كارمن أنا التي قررت تسمية منشأتنا ببيت

الأوهام، وأنا فيه مجرد مديرة، عندما يقرع أي شخص الباب يدخل إلى البيت حاملاً معه السيناريو الخاص به، المنظم بصورة جيدة. توجب عليّ تأجير الصالة وتقديم الإكسسوارات والممثلين والممثلات. ونجحت في إبعاد ابنتي عن الأرض – هل رأيت ماذا أود أن أقول؟ أعطيتها منذ زمن بعيد ضربة إرسال وطارت. قطعت الحبال التي تربطها، فراحت تطير. أو إذا أردت، إنها تعوم في السماء وتحملني معها، حسناً يا عزيزتي... أنت تسمحين لي ببضعة كلمات من الحنان ــ كل مديرة ماخور تملك دوماً وبصورة تقليدية عاطفة خفيفة إزاء إحدى بناتها...

كارمن: كنت ألاحظ ذلك سيدتي. وأنا أيضاً لدي هذا الشعور أحياناً...

(تنظر بازدراء إلى السيدة إيرما).

إيرما (تنهض وتنظر إليها): أنا مضطربة كارمن. (صمت طويل). عزيزتي، المنزل يطير، يغادر الأرض، يبحر في السماء عندما اسمي نفسي في مكنونات قلبي وبدقة كبيرة صاحبة ماخور. عزيزتي عندما أكرر سراً بصمت وبصوت خافت قائلة: أنت أم ديوثة، مديرة ماخور (تبدو فجأة شاعرية)، كل شيء يتطاير، الثريات والمرايا والسجاجيد والبيانو والتماثيل وصالوناتي، صالوناتي

المشهورة: الصالون المعروف باسم صالون الحشائش الذي يميل إلى المشاهد الريفية، وصالون التعذيب الملطخ بالدم والدموع، وصالون استقبال العرش المصنوع من المخمل المزكش بزهر الزنبق، وصالون المرايا والصالون الاحتفالي وصالون نوافير الماء المعطر وصالون المبولة وصالون أمفيتويت وصالون ضوء القمر، كل شيء يتطاير: الصالونات. آه لقد نسيت صالون الشحاذين المتشردين حيث يتم تمجيد القذارة والبؤس. أكرر: الصالونات والفتيات... (تغير رأيها). آ! كدت أنسى، أجمل شيء، البهرجة الحتمية وإكليل البناء ــ إذا انتهى بناؤه يوماً ما – أتحدث عن الصالون الجنائزي المزين بالجرار الكبيرة المصنوعة من المرمر، وصالوني، صالون الموت الشعائري، القبر! وصالون الضريح... أُعيد: صالونات، وفتيات وبلور ودانتيل وشرفة، الجميع يذهبون ويترفعون وينتصرون عليّ!

(صمت طويل. المرأتان ثابتتان لا تتحركان، واقفتان الأولى أمام الثانية)

كارمن: ما تقولينه جيد.

إيرما (متواضعة): ذهبت إلى درجة التأمين.

كارمن: كنت أفهم ذلك. والدي قائد المدفعية...

إيرما (تصحح بصراحة ما قالته كارمن): قائد الفرسان يا عزيزتي.

كارمن: عفواً. هذا صحيح. كان يريد قائد الفرسان أن يعطيني تعليمات. للأسف!... لقد نجحت. استطعت تنظيم مسرح فخم حول شخصك، واحتفال حيث تحيط بك الأبهة وتخفيك عن العالم. لابد من هذه الأبهة لدعارتك. وأنا، قد لا يكون لديّ إلا أنا ولن أكون إلا نفسي؟ كلا يا سيدتي. فأنا أيضاً حصلت على لحظات مجدي، كانت الرذيلة وبؤس الرجال تساعدني! بوجود السماعة على أذنك والمنظار على عينك تستطيعين أن تريني منتصبة، سيدة وخادمة في آن، أم وأنثى مفرطة الأنوثة، كعبي المتوضع على أفعى كرتونية وعلى الورود الزهرية الورقية، كنت تستطيعين أيضاً رؤية محاسب الائتمان من ليون راكعاً على ركبتيه أمامي، ومضمحلاً عند ظهوري، للأسَف لقد هجرك، فأنت لم تعرفي نظرة إعجابه ولا حتى دقات قلبي المتسارعة. وشاحي الأزرق وثوبي الأزرق وصدريتي الزرقاء وعيني الزرقاوين...

إيرما: نفس اللون!

كارمن: كان اللون الأزرق ذلك اليوم. كنت بالنسبة إليه الهابطة من السماء على شكل شخص حتى جبهته. سيكون بوسع اسباني الصلاة والقسم أمام العذراء التي كنت. كان يغني

لي وخلطني باللون الذي كان يحبه وعندما كان يحملني إلى السرير كان يغمرني باللون الأزرق. ولكنني لم أعد أظهر.

إيرما: اقترحت عليك القديسة تيريزا.

كارمن: أنا غير جاهزة سيده إيرما. يجب معرفة ما يطلبه الزبون. هل تم تنظيم كل شيء جيداً؟

إيرما: على كل مومس أن تكون جاهزة، هل تعتذرين مني؟ فنحن كذلك، نتحدث بين الرجال، على كل مومس مواجهة كل الحالات.

كارمن: أنا واحدة من المومسات اللواتي ينتمين إليك أيتها المديرة وأخلصهن وأفتخر بذلك. ذات مساء طُلب مني أن أؤدي...

إيرما: أعرف أداءك... ولكنك عندما تتحمسين للهروب من كلمة مومس، فذلك لكي تجددي نفسك وتهربي من نفسك مثل... مثل... مثل... (تفتش عن كلمة وتجدها)... مثل حلية، ليس تماماً عندما استخدم هذه الكلمة فذلك لتحديد وظيفة ما. ولكنك محقة يا عزيزتي افتخري بمهنتك ومجديها. اجعليها تلمع، فتجعلك تلمعين، إذ لا تملكين غيرها. (حنونة) سأقوم بكل شيء لأساعدك... فأنت لست أنقى جوهرة بين بناتي فحسب، أنت الجوهرة التي أعطيها كل حناني. ولكن ابقي معي... هل ستجرؤين على تركي

عندما يكون الكذب المبالغ فيه في كل مكان؟ الموت ــ الحقيقة الحتمية ــ على بابي، إنه تحت نوافذي...

(دوي الرشيش)

هل تسمعين؟

كارمن: الجيش يقاتل بشجاعة.

إيرما: الثوار يتميزون بشجاعة كبيرة. نحن تحت أسوار الكاتدرائية وعلى بعد خطوتين من الأسقفية، رأسي غير مطلوب مقابل جائزة، ولن يكون ذلك جميلاً جداً، لكن يُعرف عني بأنني أدعو شخصيات للعشاء، فأنا مستهدفة إذاً، ولا يوجد رجال في المنزل.

كارمن: السيد ارتور هنا.

إيرما: أنت تسخرين مني! لا يوجد أي رجل، فهذا تابعي. من ناحية ثانية، ما إن تنتهي جلسته حتى أرسله للبحث عن السيد جورج.

كارمن: لنفترض الأسوأ...

إيرما: إذا ربح الثوار؟ أنا أضيع. إنهم عمال، بلا خيال. يبدون محتشمين وربما عفيفين.

كارمن: إنهم يعتادون على الفاحشة فوراً. يكفي القليل من الملل...

إيرما: أنت تخدعين نفسك. أو أنهم لم يعتادوا على الملل. لكنني أنا الأكثر عرضة للخطر. الأمر مختلف بالنسبة إليك

وللفتيات. في كل ثورة المومس المتحمسة هي التي تغني أغنية مورسيليه الريفية. هل ستكونين تلك المومس؟ الأخريات سيحملن الشراب بحرص للمشرفين على الموت. وبعد ذلك... سيتزوجن منكن. هل سيعجبك بأن تكوني زوجة؟

كارمن: زهرة شجرة البرتقال...

إيرما: برافو أيتها العاهرة! بالنسبة إليك كلمة زوجة تعني أن تكوني مقنعة. حبيبتي أنت في حالة حسنة في عالمنا. أنا أيضاً، لا أفترض بأنك زوجة. من ناحية ثانية، فهم يفكرون بقتلنا بصورة خاصة. سنحصل على أجمل موت يا كارمن. سيكون الموت مريعاً وفخماً. من المحتمل أن يستولوا على صالوناتي وأن يكسروا الزجاج ويمزقوا الحرير المقصب وأن يذبحونا...

كارمن: سيشفقون...

إيرما: إطلاقاً. غضبهم يزداد عندما يعرفون بتدنيس المقدسات. سيأتون عاريي الصدور مقنعين وينتعلون جزمات، ويعتمرون قبعات، سيقتلوننا بالنار والحديد وسيكون ذلك جميلاً، علينا أن لا نرجو نهاية أخرى وأنت تفكرين بالذهاب...

كارمن: ولكن يا سيدة إيرما...

إيرما: عندما سيشتعل البيت، وعندما ستطعن الزهرة بخنجر، كارمن ستهيئين نفسك للفرار!

كارمن: أنت تعلمين جيداً لماذا أردت التوقف عن العمل.

إيرما: ابنتك ميتة...

كارمن: سيدتي!

إيرما: ميتة أو حية، ابنتك ميتة. فكري بالقبر المزين بأزهار الأقحوان وتيجان اللؤلؤ في عمق الحديقة... وهذه الحديقة في قلبك حيث سيكون بمقدورك الالتقاء بها...

كارمن: سأحب رؤيتها...

إيرما (تتابع حوارها الطويل السابق):... صورتها في صورة الحديقة والحديقة في قلبك تحت ثوب القديسة تيريزا المحترق. أتترددين؟ أقدم لك أفضل الميتات وأنت تترددين؟ أنت جبانة؟

كارمن: أنت تعرفين تمام المعرفة بأنني متعلقة بك.

إيرما: سأخبرك عن الأرقام! الأرقام الرائعة التي تجعلنا نقضي الليالي سوياً، الأرقام المكتوبة بخط جميل.

كارمن (بهدوء): الحرب تحتدم. إنها عصابة غير منظمة، أنت قلت ذلك.

إيرما (منتصرة): عصابة غير منظمة! ولكن لدينا كتائب مشاتنا وجيوشنا ومجموعاتنا المسلحة وجوقاتنا وكتائب أفواجنا

وسفننا ومخبرينا وأبواقنا ومزاميرنا وأعلامنا ورياتنا وبيارقنا... ومبالغنا المالية كي تودي بنا إلى الكارثة! إلى الموت؟ إنه الموت المؤكد ولكن بأي سرعة وعلى أية هيئة!... (حزينة). شريطة أن يظل جورج ذا نفوذ...وأن يستطيع خاصة اختراق العصابة غير المنظمة وأن يأتي لينقذنا. (تأوه عميق) ستلبسينني ملابسي. لكن قبل ذلك سأراقب راشيل.

(نفس الطنين الذي حدث قبل قليل. إيرما تضع عينها على آلة المشاهدة).

بواسطة هذه الآلة أراهم وحتى أنني أسمع تأوهاتهم. (صمت، تنظر) المسيح يخرج مع معداته. لم أفهم إطلاقاً لماذا يعلقها على الصليب بحبال يحملها في حقيبة. ربما لأن الحبال مباركة؟ هل وصل إلى منزله حيث يضعها؟ إنه يذهلني. لنرى راشيل (تكبس على مقبض آخر)، آ لقد انتهوا. إنهما يتحدثان، يرتبان الأسهم الصغيرة والقوس وضمادات الشاش والقبعة العسكرية البيضاء... لا، لا أحب إطلاقاً الطريقة التي ينظران بها إلى بعضهما:لديهما عين صافية. (تلتفت نحو كارمن) ها هي مخاطر المواظبة. سيحدث الخراب فيما لو كان زبائني يتبادلون مع بناتي ابتسامة ودية ونظرة وتربيتة ودية باليد ومزاح. ستكون الكارثة أكبر أيضاً فيما لو كان الحب يمتزج بها.

(تضغط بصورة آلية على المقبض وتضع السماعة وهي تفكر). على آرتور أن ينهي جلسته. سيأتي... ساعديني على ارتداء ملابسي.

كارمن: ملابسك الخفيفة العارية ذات اللون الكريم.

(تفتح كارمن باب الخزانة وتسحب منها لباساً خفيفاً في الوقت الذي كانت إيرما تفك بكلة طقمها).

قولي لي يا كارمنتي، شانتال؟...

كارمن: سيدتي؟

إيرما: نعم. قولي لي، ماذا تعرفين عن شانتال؟

كارمن: استعرضت الفتيات كلهن: روزين وإإليان وفلورانس ومارلين. لقد حضرن تقريرهن المقتضب. سأعطيك إياه. ولكنهن لم يخبرنني شيئاً مهماً. كان ذلك قبل أن نتجسس عليهن. أثناء المشاجرة، يصبح ذلك أكثر صعوبة. في البدء كان ممكناً اختيار المعسكرات الأكثر دقة. في حالة السلم، يصبح ذلك غامضاً كفاية. من غير المعروف بالضبط من يقوم بالخداع، ولا حتى إذا تم الخداع. فيما يتعلق بشانتال لا شيء معروفاً، ولا يُعرف فيما لو كانت حية.

إيرما: ولكن قولي لي ألم تسيطر عليك الوساوس؟

كارمن: ولا أي وسواس. الدخول إلى الماخور، هو رفض للعالم. أنا موجودة فيه ولا زلت باقية فيه. واقعي هو مراياك وأوامرك والشغف. أية مجوهرات؟

إيرما: الألماسات. مجوهراتي. لا أملك إلا هذه كمجوهرات حقيقية، وكلي يقين بأن كل ما تبقى لا قيمة له، لديّ مجوهراتي كما لدى الأخريات بناتهن الصغيرات في الحديقة. من يخون؟ أنت تترددين؟

كارمن: كل تلك السيدات تأخذن الحذر مني. أسجل تقريرهن المقتضب. سأعطيك إياه وأنت ستعطينه بدورك للشرطة، فهي تسيطر على الوضع... أنا لا أعرف شيئاً.

إيرما: أنت ذكية. أعطيني منديلاً.

كارمن (تعطيها منديلاً من الدانتيل): يبدو من هنا أن الرجال كلهم يفكون أزرارهم، تبدو الحياة لي بعيدة وعميقة جداً، لدرجة تبدو فيها غير واقعية مثل فيلم أو مثل مولد المسيح في المغارة. وعندما ينسى أحد الرجال نفسه في الغرفة ويقول لي: "سنستولي على ترسانة الأسلحة مساء الغد"، أشعر بأنني أقرأ خربشة بذيئة، ويصبح تصرفه مجنوناً... يصبح... حجمه كبيراً مثل الأحجام التي ترتسم بطريقة ما على بعض الجدران... كلا، أنا لست حذقة.

(يُطرق الباب، تقفز إيرما. تسرع إلى جهازها وبآلية معينة تكبس على زر وتدخل في حائط غير منظور. خلال كل المشهد مع آرتور، كارمن تخلع ملابسها ثم تُلبس إيرما بطريقة تكون إيرما فيها جاهزة قبل وصول رئيس الشرطة تماماً).

إيرما: تفضل!

(ينفتح الباب. يدخل الجلاد، سنسميه من الآن وصاعداً **آرتور**. يرتدي زياً تقليدياً يدل على أنه قواد: رمادي فاقع وقبعة بيضاء من اللباد والخ. ينتهي من عقد ربطة عنقه).

(تتفحصه إيرما بدقة)

هل انتهت الجلسة ؟ انتهى الأمر بسرعة.

آرتور: نعم. العجوز القصير يزرّر أزراره. إنه خائر القوى. جلستان خلال نصف ساعة. ومعركة تبادل الرصاص في الطرقات، أتساءل فيما لو يستطيع أن يصل إلى فندقه. (يقلد القاضي في اللوحة الثانية). مينوس أقاضيك... مينوس أقيمك... حارس قاس؟... أواه! أواه! أواه!

(يكشر عن أنيابه ويضحك). ألم يصل قائد الشرطة؟

إيرما: هل ضربت بقسوة؟ في المرة الفائتة ظلت الفتاة المسكينة نائمة طوال يومين.

(كارمن تحمل الثوب المصنوع من الدانتيل، إيرما تبدو الآن في قميص).

آرتور: لا تعبثي مع الفتاة الطيبة ولا مع العاهرة. في المرة الفائتة وهذا المساء حصلت على حسابها من المال والصفعات بصورة دقيقة. موظف المصرف يريد أن يرى ظهرها مخططاً وأنا خططته.

إيرما: ألم تستمتع بذلك على الأقل؟

آرتور (بصوت فخيم): لا أستمتع معها، لا أحب أحداً سواك. والعمل هو العمل. أقوم به بصرامة.

إيرما (بصورة متسلطة): أنا لا أغار من هذه الفتاة، ولكنني قد لا أحب أن تُهلك طاقم العمل، فقد بات من الصعب تجديده.

آرتور: أردت لّمرتين أو لثلاث مرات أن أرسم إشارات على ظهرها وألونها باللون النهدي، غير أن ذلك لم يحدث. عندما وصل العجوز تفحصها وطلب مني أن أتركها سليمة.

إيرما: سليمة من الرسم؟ من سمح لك بذلك؟ (تخاطب كارمن) الحذاء يا عزيزتي؟

آرتور (رافعاً كتفيه): وهم كبير أو صغير! كنت أظن بأنني تصرفت جيداً، لكن اطمئني، فأنا أجلد وأضرب بالسوط، وهي تصيح وتزعق، وهو يزحف.

إيرما: بالنسبة إليها عليك أن تأمرها بأن تصيح بصوت منخفض، فالبيت مستهدف.

آرتور: أعلنت الإذاعة بأن الأحياء الشمالية سقطت برمتها هذه الليلة. والقاضي يريد صرخات. والأسقف أقل خطراً، فهو يكتفي بالعفو عن الخطايا.

كارمن: إنه يطلب ارتكاب الخطايا أولاً، وبعد ذلك يغفرها معاليه. لا، فأفضل شخص هو من يقمطه ويضربه على مؤخرته ويجلده ويهدهده، وشخص يشخر.

آرتور: من يدللـــه؟ (إلى كارمن) أنت؟ هل تعطيه ثديك؟

كارمن (بجفاء): أقوم بمهنتي على أحسن ما يرام. سيد آرتور، على أي حال أنت ترتدي طقماً ، وهذا الطقم لا يسمح لك بالمزاح. للقواد تكشيرة وليس ابتسامة على الإطلاق.

إيرما: إنها محقة.

آرتور: كم جنيت اليوم؟

إيرما: لم ننته من عملية الحساب أنا وكارمن.

آرتور: لقد قمت بذلك. وفق حساباتي، المبلغ يصل تقريباً إلى عشرين ألفاً.

إيرما: هذا ممكن. على أي حال لا تخشى شيئاً، فأنا لا أغش.

آرتور: أنا أصدقك يا حبيبتي، ولكن هذا أقوى مني، فالأرقام تنتظم في رأسي. عشرون ألفاً! الحرب والثورة والشظايا والجليد والبَرَد والمطر ووابل من الغائط، لا شيء يوقفهم! على العكس، إنهم يقتلون أنفسهم قريباً من هنا، والماخور مستهدف، حتى أنهم يقصفون كل شيء. لقد نقلت كنزي إلى منزلك باستثناء...

إيرما (متضايقة): الخوف سيشل حركتك في القبو.

آرتور (غامضاً): سأفعل كما يفعل الآخرون يا حبيبتي. سأنتظر كي ينقذني رئيس الشرطة. لا تنسي نسبتي المئوية الصغيرة من النقود ؟

إيرما: أعطيك ما يجعلك تدافع عن نفسك.

آرتور: حبيبتي! طلبت شراء قمصاني الحريرية. وأنت تعلمين أي حرير؟ وأية ألوان؟ من الحرير النهدي المستخدم في صدر فساتينك!

إيرما (بحنان): سنرى، انتهينا. ليس أمام كارمن.

آرتور: إذاً؟ هل يعني هذا نعم؟

إيرما (خائرة القوى): نعم.

آرتور: كم؟

إيرما (ثابتة القدمين مجدداً): سنرى. عليّ تسوية الحساب مع كارمن. (بدلال) سيكون ذلك أكثر من طاقتي. عليك الآن أن تذهب فوراً للقاء جورج...

آرتور (بسخرية غير مهذبة): ماذا قلت يا محبوبتي؟

إيرما (بجفاء): عليك أن تذهب للقاء السيد جورج، إلى مركز الشرطة إذا توجب ذلك، وأن تعلمه بأنني لا اعتمد على أحدٍ سواه.

آرتور (قلق قليلاً): هل تمزحين، أتمنى بأنك تمزحين؟...

إيرما (تبدو فجأة شديدة التسلط): عليك أن تعرف من خلال نبرة ردي الأخير. لم أعد أمثل الدور ذاته. وأنت لم يعد عليك لعب دور القواد الحنون والشرير. افعل ما آمرك به، ولكن قبل أن تذهب خذ المبخرة. (تتوجه إلى كارمن التي تحمل المبخرة) أعطيه إياها. (إلى آرتور) إركع.

آرتور (يجلس على ركبتيه على الأرض ويبخر إيرما): في الطريق؟... وحيداً؟... أنا؟...

إيرما (تقف أمامه): عليك معرفة ما آل إليه جورج. لا أستطيع أن أبقى من دون حماية.

آرتور: أنا هنا...

إيرما (ترفع كتفيها): عليّ الحفاظ عن مجوهراتي وصالوناتي وبناتي. على رئيس الشرطة أن يصل في غضون نصف ساعة....

آرتور (نائحاً): أنا في الطريق؟... ولكن البَرَد... وأزيز الرصاص... (يخلع بزته). كنت مرتدياً ملابسي فقط كي أبقى أتنزه في ممرات بيتك، وكي تنظري إليّ في المرايا. وأيضاً كي تريني مرتدياً زي قواد... ليس لدّي إلا الحرير كي أحمي نفسي...

إيرما (تخاطب كارمن): أعطيني أساوري كارمن. (تخاطب آرتور) وأنت بخرني.

آرتور: لم أخلق كي أكون في الخارج، منذ زمن بعيد وأنا أعيش بين جدران منزلك... حتى أن جلدي لن يتحمل الهواء الشديد... حتى ولو كان لديّ برقعاً صغيراً!... لنفترض أنهم تعرفوا عليّ؟...

إيرما (غاضبة، تدور حول نفسها أمام المبخرة): دمر الأسوار. (فترة من الزمن). خذ هذا المسدس.

آرتور (مرتعباً): هل أخذه معي؟

إيرما: ضعه في جيبك.

آرتور: في جيبي! تخيلي بأنني أُرغمت على إطلاق النار؟...

إيرما (لطيفة): هل تبالغ فيمن تكون؟ هل أنت شبعان؟

آرتور: شبعان، نعم... (فترة زمنية). مستريح وشبعان... ولكن أن أخرج إلى الشارع...

إيرما (تبدو متسلطة ولكن بصورة لطيفة): أنت محق. بدون مسدس، ولكن انزع قبعتك، اذهب حيث أقول لك وعد لتخبرني. هذا المساء لديك جلسة. هل تم إعلامك؟ (ينزع قبعة اللباد).

آرتور (يتوجه نحو الباب): جلسة أخرى! وهذا المساء؟ ما هذا؟

إيرما: كنت أظن بأنك قلتها: جثة.

آرتور (بقرف): ماذا سأفعل بها؟

إيرما: لا شيء. ستظل ثابتاً، وستُكفن. سيكون بمقدورك أن تستريح.

آرتور: آه، هذا لأنني...؟ آه، حسناً. حسناً جداً. والزبون؟ هل هو جديد؟.

إيرما (غامضة): شخصيته مهمة جداً، ولا تسألني أكثر من ذلك. هيا اذهب.

آرتور (يذهب كي يخرج ثم يتردد ويخجل): ألن تقبليني؟

إيرما: عندما تعود، إذا عدت.

(يخرج، ينفتح الباب اليميني، يدخل رئيس الشرطة من دون أن يطرق عليه. يرتدي معطفاً سميكاً مبطناً بالفرو وقبعة ويحمل سيكاراً بيده. تقوم كارمن بحركة لتركض وتنادي آرتور لكن قائد الشرطة يوقفها).

قائد الشرطة: لا، لا ابقي كارمن. أحب حضورك. فيما يخص الفتى العاشق الذي تنفق عليه امرأة، سيتدبر أمره كي يعثر عليّ.

(يحتفظ بقبعته وسيكاره ومعطفه وينحني أمام إيرما ويقبل يدها).

إيرما (منزعجة): ضع يدك هنا. (على أحد ثدييها). إنني مبتهجة، لا زال ثدياي يتحركان. كنت أعلم بأنك على وشك الوصول رغم الخطر. كنت أنتظر وأنا أرتجف... وقد تعطرت...

قائد الشرطة (ينزع قبعته وقفازيه ومعطفه وسترته): دعينا من هذا الأمر، لم نعد نمرح. الوضع يصبح خطيراً أكثر فأكثر، الوضع ليس يائساً ولكنه يصبح كذلك ــ لحسن الحظ! القصر الملكي محاصر، والملكة مختبئة. المدينة التي اجتزتها بمعجزة يسودها النار والدم. الثورة فيها حزينة وسعيدة على عكس هذا البيت حيث يسير كل ما فيه إلى الموت البطيء. وهكذا فأنا أراهن اليوم بالذات. سأكون هذه الليلة إما في القبر أو على المنبر. في هذه

الحالة ليس مهماً أن أحبك أو أن أرغب فيك. هكذا يسير الأمر في هذه اللحظة؟

إيرما: رائع، لديّ بضعة عروض عظيمة.

قائد الشرطة (نافذ الصبر): من أي نوع؟

إيرما: كارمن عبقرية في الوصف. اسألها.

قائد الشرطة (مخاطباً كارمن): احكي كارمن. هل لا تزال؟...

كارمن: نعم يا سيدي لا تزال. لا تزال دعائم الإمبراطورية.

قائد الشرطة (ساخراً): رموزنا وأسلحتنا الفصيحة. ثم هل ثمة... ؟

كارمن: مثل كل أسبوع، هناك موضوع جديد. (حركة فضولية من قائد الشرطة). وهذه المرة، إنه الطفل الذي تلقى صفعة وضُرب على مؤخرته، نلفلفه فيبكي فنهدهده.

قائد الشرطة (نافد الصبر): حسناً. ولكن...

كارمن: إنه رائع يا سيدي. وحزين جداً!

قائد الشرطة (غاضباً): هل هذا كل شيء؟

كارمن: كم يبدو جميلاً عندما نفك قماطه...

قائد الشرطة (يشتد غضبه أكثر فأكثر): هل تسخرين مني يا كارمن؟ أسألك فيما إذا كنت موجوداً هنا؟

كارمن: إذا كنت موجوداً هنا؟

إيرما (ساخرة): غير معروف لمن: أنت غير موجود هنا.

قائد الشرطة: ليس بعد؟ (مخاطباً كارمن). في النهاية نعم أم لا، هل ثمة شبح؟

كارمن (بحماقة): شبح؟

قائد الشرطة: حمقاء! نعم! شبح قائد الشرطة؟

إيرما: لم يحن الوقت. عزيزي، وظيفتك لا تحتوي على النبالة الكافية كي تقترح على الحالمين صورة من سيعزيهم. قد يكون ذلك خطأ الأسلاف المشهورين ؟ لا يا صديقي العزيز... عليك اختيار صورتك، فصورتك لم تصل بعد إلى طقوس الماخور.

قائد الشرطة: من سيقدمها؟

إيرما (غاضبة قليلاً): أنت تعرفهم طالما في حوزتك بطاقاتهم (تعد على أصابعها)، هناك ملكان لفرنسا مع مراسم التتويج والشعائر المختلفة وأميرال هلِك في مؤخرة سفينته النَسّافة، وداي الجزائر تخلى عن منصبه، ورجل إطفاء يُطفيء حريقاً، وعنزة مربوطة إلى وتد، وخادمة منزل تعود من السوق، وسارق نشال، وسرقة معلقة، وشخص أُشبع ضرباً، والقديس سباستيان، ومزارع في مستودع غلاله... لا يوجد قائد شرطة... ولا حتى مدير للمستوطنات ولكن يوجد مبشر يموت على الصليب، والمسيح مجسداً.

قائد الشرطة (بعد صمت): لقد نسيت التقني.

إيرما: لم يعد يأت. لكثرة شد "المِحزمات ذات الصامولة"، كان يغامر بصنع آلة تم تشغيلها في المصنع!

قائد الشرطة: إذاً لا يوجد أحد من زبائنك لديه فكرة... فكرة بعيدة يصعب الإشارة إليها...

إيرما: لا أحد. أعرف بأنك تقوم بكل ما بوسعك: أنت تحاول الحقد والحب، والمجد يستاء منك.

قائد الشرطة (بقوة): أؤكد لك بأن صورتي تصبح عظيمة أكثر فأكثر. فهي تصبح ضخمة. كل من حولي يردد لي ذلك ويفكر بذلك من أجلي؟ ألم تريها إطلاقاً مُمثلة في بيتك ؟

إيرما: على أية حال، ستكون مشهورة في بيتي لدرجة أنني لن أرى أي شيء سواها. الاحتفالات سرية.

قائد الشرطة: كاذبة. أنت تخفين الخبث في كل جدار، والزيف في كل مرآة. فهنا تُسمع الأنات وفي الأسفل صدى الشكوى. ليس أنا من علمك بأن ألعاب الماخور هي أولاً ألعاب المرايا... (حزين جداً) ولم يعلمك أي شخص أيضاً! لكنني سأجبر صورتي على الانفكاك عني، سأجبرها على اختراق صالوناتك والتفكير عميقاً وعلى التعددية. إيرما مهمتي ترهقني. مهمتي ستظهر لي في شمس المتعة والموت المريعة. (حالماً) شمس الموت...

إيرما: ينبغي عليك قتل المزيد يا عزيزي جورج.

قائد الشرطة: أفعل ما أستطيع فعله، اطمئني. إنهم يشكون بي أكثر فأكثر.

إيرما: لا يكفي ذلك. عليك الغوص ليلاً في البراز والدم. (يظهر عليها القلق فجأة). وأن تقتل ما تبقى من حبنا...

قائد الشرطة (صريح): مات كل شيء.

إيرما: إنه نصر جميل. عليك إذاً أن تقتل من يحيطون بك.

قائد الشرطة (مستاء كثيراً): أكرر لك أنني أفعل ما أستطيع فعله. وفي الوقت ذاته أحاول أن أبرهن للأمة على أنني قائد، ومُشرع وأنني...

إيرما (قلقة): أنت تهذي، أو أنك تتمنى حقيقة أن تبني إمبراطورية، وبذلك تكون تهذي.

قائد الشرطة (مقتنعاً): الثورة قُمعت، وأنا الذي قمعتها، والأمة تدعمني والملكة تختارني، لن يوقفني شيء. وسترين فقط من أكون الآن (حالماً). نعم يا عزيزي، أريد بناء إمبراطورية... كي تبني لي الإمبراطورية البديلة...

إيرما: قبراً...

قائد الشرطة (مندهشاً بعض الشيء): لم لا، بعد كل ذلك؟ لا يملك أي فاتح قبره؟ وعندئذ؟ (متحمساً) الإسكندرية! سيكون لديّ قبري يا إيرما. وستكونين بأفضل مكانة عندما سنضع أول حجر.

إيرما: أشكرك. (إلى كارمن) الشاي يا كارمن.

رئيس الشرطة (مخاطباً كارمن التي على وشك الخروج): كارمن انتظري دقيقة فقط. ما رأيك بهذه الفكرة؟

كارمن: أنت تريد أن تخلط حياتك مع المآتم الطويلة يا سيدي.

قائد الشرطة (عدائي): هل الحياة شيء آخر؟ يبدو عليك بأنك تفهمين كل شيء، أرشديني. في هذا المسرح الفخيم تُعرض في كل لحظة مسرحية ــ وكما يقال، يُقام في كل لحظة قداس في العالم ــ ماذا تلاحظين؟

كارمن (بعد تردد): العرض في منتهى الجدية، يستحق أن يضاف إليه شيء واحد: هناك بنطال خاص بالمصنع موضوع على كرسي محروم من أفخاذ كانت تملؤه، البنطال جميل يا سيدي. وزيناتنا تحزن لحظة الموت بعد أن خسرت عجائزنا الصغار. إنها الزينات التي تُوضع على منصة نعش الأعيان. فهي لا تغطي إلا جثثاً لم تنته بعد من الموت، وفي هذه الأثناء...

إيرما (تخاطب كارمن): سيدي قائد الشرطة لا يسألك عن ذلك.

قائد الشرطة: لقد اعتدت على خطابات كارمن. (يخاطب كارمن) ومع ذلك هل ترغبين؟...

كارمن: ومع ذلك كان الفرح في عيونهم، أنا لا أخدع نفسي، عندما كانوا ينظرون إلى البهرجة، كانت تنطلق منهم البراءة فجأة...

قائد الشرطة: يدّعون بأن بيتنا سيرسلهم إلى الموت.

(رنة مفاجئة. تقفز إيرما. صمت)

إيرما: لقد فُتح الباب. من يمكن أن يأتي في هذه الساعة أيضاً؟ (تخاطب كارمن)، انزلي كارمن وأغلقي الباب.

(تخرج كارمن).

(يسود صمت طويل بين إيرما وقائد الشرطة اللذين بقيا وحيدين).

قائد الشرطة: قبري!

إيرما: هذا أنا الذي رنّ الجرس. كنت أريد أن أبقى بمفردي معك بعض الوقت.

(ينظران في أعين بعضهما في صمت وبصورة جدية).

قل لي يا جورج... (تتردد). هل تلعب دوماً هذه اللعبة؟ لا، لا، لا تغضب. أنت لست متعباً من ذلك؟

قائد الشرطة: ولكن... سأعود إلى منزلي بعد قليل...

إيرما: إذا استطعت أن تعود، وإذا تركتك الثورة حراً.

قائد الشرطة: الثورة لعبة. لا تستطيعين من هنا رؤية أي شيء يجري في الخارج، غير أن كل ثائر يلعب ويحب لعبته.

إيرما: حتى ولو كانوا على سبيل المثال يتركون أنفسهم تنقاد خارج اللعبة؟ أعني أن يتركوا أنفسهم تنقاد حتى يخربوا كل شيء ويغيروا كل شيء. نعم، نعم أنا أعلم، لازال هناك ثمة تفصيل مزيف يذكرهم في لحظة ما ومكان ما

بالمأساة، عليهم أن يتوقفوا وحتى أن عليهم أن يتراجعوا... نعم، إنهم منقادون بالعاطفة، لم يعودوا يعترفون بشيء فهم يقفزون على الأرجح في...

قائد الشرطة: تقصدين بأنهم يقفزون في الواقع. وبعد ذلك؟ ليحاولوا. أنا أفعل مثلهم، أخترق فوراً الواقع الذي تقترحه علينا اللعبة، طالما أن دوري جميل فأنا أقمعهم.

إيرما: سيكونون الأقوى.

قائد الشرطة: لماذا تقولي: "إنهم سيكونون". تركت رجال حرسي في أحد صالوناتك مع أنني لا أزال أقوم بمهامي. ومن ثم يكفي هذا الموضوع. أنت مديرة بيت الأوهام أم لا؟ حسناً. أن آتي إلى بيتك، لإرضاء ذاتي في مراياك ولعبك. (بحنان) اطمئني، كل شيء سيجري كما في المرات السابقة.

إيرما: لا أدري لماذا أنا قلقة اليوم. كارمن تبدو لي غريبة، والمتمردون كما تقول لديهم نوع من الجلالة...

قائد الشرطة: دورهم يتطلب ذلك.

إيرما: لا، لا... إنه نوع من التصميم. الذين يمرون تحت النوافذ لا يغنون بل يهددون. التهديد في عيونهم.

قائد الشرطة: وماذا بعد ذلك؟ على فرض أن ذلك حدث؟ هل تعتبرينني جباناً؟ تظنين أن عليّ الإنكار.

إيرما (تفكر): لا، من ناحية ثانية، أظن أن ذلك أصبح متأخراً.

قائد الشرطة: هل لديك معلومات؟

إيرما: بواسطة شانتال قبل فرارها. سيتم احتلال المحطة الكهربائية في الساعة الثالثة صباحاً.

قائد الشرطة: هل أنت متأكدة؟ هل تعرف من سيحتلها؟

إيرما: سيحتلها مؤيدو القطاع الرابع.

قائد الشرطة: هذا محتمل. كيف عرفت ذلك؟

إيرما: تسربت بعض المعلومات عن طريقها، عن طريقها وحدها. لا تسخر من بيتي.

قائد الشرطة: ماخورك يا حبيبتي.

إيرما: ماخور. بيت دعارة... شانتال هي الوحيدة الموجودة في الطرف الثاني... لقد فرّت. ولكن قبل أن تذهب باحث بالأسرار لكارمن التي تعرف أن تعيش.

قائد الشرطة: من أخبرها؟

إيرما: روجه. عامل الرصّاص. هل تتخيل شكله؟ شاب وجميل؟ لا إنه في الأربعينات. قوي، له عين ساخرة وخطيرة. تحدثت إليه شانتال، وطردته مؤخراً. إنه ينتمي إلى شبكة أندروميد من التقنيين.

قائد الشرطة: أندروميد؟ برافو. الثورة تكبر وتنطلق من هذه الدنيا. وإذا أعطت الثورة أسماء كواكب لقطاعاتها، ستتبخر سريعاً وتتحول إلى قصائد. لنأمل أجمل الأشعار.

إيرما: وإذا كانت أشعارهم تزود المتمردين بالشجاعة؟ والمتمردون يريدون الموت من أجلها؟

قائد الشرطة: روعة أشعارهم ستضعفهم. للأسف فهم ليسوا في هذا الطور من الجمال والاسترخاء.

على أي حال، كان عشاق شانتال رجالاً مرسلين من السماء.

إيرما: دع الله جانباً...

قائد الشرطة: أنا ماسوني حر. في هذه الحالة...

إيرما (مندهشة، وبصورة طبيعية): لم تقل لي ذلك. أنت تكون...

قائد الشرطة (بتفخيم): الأمير العظيم للسر الملكي!

إيرما (ساخرة): أنت ماسوني حر! تلبس صدرية واقية، وتمسك مطرقة، وتضع قناعاً، وتحمل شمعة طويلة! هذا مضحك. (فترة من الزمن). هل أنت أيضاً؟

قائد الشرطة: لماذا؟ هل أنت أيضاً؟

إيرما (بأسلوب مضحك وتهريج مفخم): حارسة شعائر شديدة الخطورة! (حزينة بصورة مفاجئة) طالما أنني وصلت إلى هنا في النهاية.

قائد الشرطة: كما في كل مرة، ستحاولين تذكر قبلاتنا.

إيرما (بحنان): لا، ليس قبلاتنا ولكن الزمن الذي كنا نحب بعضنا فيه.

قائد الشرطة: حسناً؟ هل تريدين أن أسرده تاريخياً وأمدحه؟ هل تظنين بأن زياراتي سيكون مذاقها أقل فيما لو لم تمزجي فيها ذكرى البراءة المفترضة؟

إيرما: ما أقصده هو الحنان. لم تمنع حيل زبائني شديدة الغرابة ولا حتى ثروتي وعملي لإثراء صالوناتي بموضوعات جديدة، ولا حتى السجاجيد والمذهبات والكريستال والبرد من أن يكون هناك ثمة لحظات كنت تختبئ فيها بين ذراعيّ وأنا أتذكرها.

قائد الشرطة: هل تأسفين على هذه اللحظات؟

إيرما (بحنان): سأتخلى عن مملكتي لقاء العودة إلى لحظة من هذه اللحظات! وأنت تعرف أية واحدة منها. بودي قول حقيقة واحدة، مثلما كنا ننظر إلى تغضناتها مساءً أو مثلما كنا نمضمض فمنا...

قائد الشرطة: لقد تأخر الوقت. (صمت) كما أننا لم نكن نستطيع أن يخفي أحدنا الآخر إلى الأبد. وفي النهاية، أنت لا تعرفين إلى ماذا كنت أتوجه سراً عندما كنت بين ذراعيك.

إيرما: أعرف بأنني كنت أحبك...

قائد الشرطة: لقد تأخر الوقت. هل سيكون بوسعك هجر آرتور؟

إيرما (تضحك بعصبية): أنت الذي فرضته علي. أنت أمرت بوجود رجل هنا ــ ضد إرادتي ورأيي ــ في نطاق يجب عليه أن يكون نقياً... معتوهاً، لا يضحك، نقياً، وعقيماً. كنت تريد دعامة، محوراً، عضواً تناسلياً حاضراً بالتمام ومنتصباً. وكان الأمر كذلك. فرضت عليّ هذه الكمية من اللحم المحتقن وهذا الذي يتناول القربان بذراع مصارع ــ لو كنت تعرف قوته في الصالون، أنت تجهل ضعفه. فرضته عليّ بحماقة لأنك كنت تشعر بأنك تشيخ وتهرم.

قائد الشرطة (بصوت ضعيف): اخرسي.

إيرما (ترفع كتفيها): وكنت تهمل نفسك بوساطة آرتور هنا. أنا لا أتوهم. فأنا رجله وهو يعتمد علي، غير أنني أحتاج إلى هذا القماش الرقيق المذهب العضلي، كثير العقد السخيف، المشبوك في تنانيري التحتانية. إن شئت، إنه جسدي ولكنه متوضع بجانبي.

قائد الشرطة (ساخراً): وإذا كنت غيوراً؟

إيرما: من هذه الدمية السمينة التي تبدل سحنتها لتتحول إلى جلاد يشبع قاضياً قصته الريح؟ أنت تسخر مني، ولكن هذا ما كان ليضجرك دوما، ما كان يضجرك هو أن

أظهر أمامك بمظهر هذا الجسد الرائع... أستطيع أن أقول لك مجدداً...

قائد الشرطة (يصفع إيرما فتسقط على الأريكة): لا تبك وإلا سحقت وجهك وأحرقت غرفتك. سأحرقك بالشعر والوبر وأهجرك. سأضيء المدينة بالعاهرات المحروقات. (بصورة وديعة جداً). هل تظنين بأنني غير قادر على فعل ذلك؟

إيرما (تلتقط أنفاسها): بلى يا عزيزي.

قائد الشرطة: إذاً جهزي لي حسابي. اخصمي إن شئت طبق كريب صيني وكريب أبولون. أسرعي، عليّ أن أعود إلى مكتبي. علي أن أعمل في هذا الوقت. وفيما بعد... فيما بعد، كلٌ سيذهب بمفرده. اسمي سيصنع مكانتي. وآرتور؟

إيرما (خاضعة): سيموت هذا المساء.

قائد الشرطة: سيموت؟ هل تريدين أن تقولي... حقيقة... حقيقة أنه سيموت؟

إيرما (مستسلمة): مثلما نموت في منازلنا يا جورج.

قائد الشرطة: خذِي؟ وهذا؟

إيرما: الوزير...

(يقاطعها صوت كارمن).

صوت كارمن في الكواليس: أقفلوا الصالون رقم 17! إليان أسرعوا! وانزلوا إلى الصالون... لا، لا، انتظروا...

(تسمع ضجة...)

(تدخل كارمن)

كارمن: سيدتي، مبعوث الملكة في الصالون...

(يُفتح الباب اليساري ويظهر آرتـــور مرتجفـــاً وثيابـــه ممزقة).

آرتور (يرى قائد الشرطة): أنت هنا! لقد نجحت في الاجتياز؟

إيرما (تلقي بنفسها بين ذراعيه): ماذا يجري أيها المغفل؟ هل أنت جريح؟... تكلم!... آه! يا مغفلي القوي!

آرتور (يتنفس بصعوبة): حاولت الذهاب إلى الشرطة. الثوار هم الذين يحكمون في كل مكان. لا أظن أن بوسعكم العودة إلى منزلكم سيدي الرئيس. نجحت بالوصول إلى القصر الملكي ورأيت شامبيلان العظيم. قال لي بأنه سيحاول العودة. لقد شدّ على يدي بين قوسين. ورحلت. النسوة هن الأكثر حماسة. إنهن تشجعن على النهب والقتل. ولكن الأمر المريع هو الفتاة التي كانت تغني...

(تُسمع فرقعة قوية. يتطاير زجاج النافذة أجزاءً. لا تزال هناك مرآة بقرب السرير).

يسقط آرتور مصاباً بجبهته برصاصة آتية من الخارج. تنحني كارمن عليه ثم تنهض. إيرما بدورها تنحني عليه وتداعب جبهته.

قائد الشرطة: في النهاية أنا عالق في ماخور. وعليّ إذاً أن أعمل من الماخور.

إيرما (تنحني على آرتور): هل ذهب كل شيء؟ هل سيسيل كل شيء من بين أصابعي؟... (بمرارة) بقي لي مجوهراتي ألماساتي... وربما ليس لزمن طويل...

كارمن (بحنان): إذا احترق المنزل... زي القديسة تيريزا موجود في خزانة الثياب سيدة إيرما؟

إيرما (تنهض): إلى اليسار، ولكن علينا أن نرفع آرتور أولاً. سأستقبل المبعوث.

اللوحة السادسة

الديكــور

يمثل الديكور ساحة وظلالاً كثيرة. في العمق وعلى مسافة كافية تتكشف واجهة الشرفة الفسيحة وشبابيك خارجية مغلقة. شانتال وروجيه يتعانقان. يبدو أن هناك ثلاثة رجال يسهرون على حمايتهما، يرتدون ملابس سوداء، ويحملون رشاشات موجهة نحو الشرفة الفسيحة.

شانتال (بهدوء): إذا شئت يا حبيبي، احفظني في قلبك وانتظرني.

روجيه: أحبك بجسدك، وشعرك، وحنجرتك، وبطنك وأمعائك ومزاجَك ورائحتك. شانتال، إنني أحبك في سريري. وهم...

شانتال (تبتسم): هم يسخرون مني كثيراً! ولكنني لن أكون أي شيء بدونهم.

روجيه: أنت لي. أحبــ...

شانتال (مستاءة): أنا أعرف الانسلال من قبر. بالكاد تخلصت من شرائطي، كنت جاهدة وعملت في الدعارة. كرست نفسي للمغامرة وهربت. (فجأة تبدو ساخرة بطريقة حنونة) لكنني أحبك يا روجيه ولا أحب أحداً سواك.

روجيه: تقولين ذلك وتهربين مني. في سباقك البطولي والأحمق لا أستطيع اللحاق بك.

شانتال: أوه! أوه! ممن تغار أو من ماذا؟ يُقال عني بأنني أطير فوق الثورة وبأنني روحها وصوتها، وأنت تبقى على الأرض. هذا ما يجعلك حزيناً...

روجيه: شانتال أرجوك لا تكوني سوقية. إذا كنت تريدين مساعدة...

(يقترب أحد الرجال).

الرجل (مخاطباً روجيه): هل الرد بنعم أم بلا؟

روجيه: وإذا بقيت هنا؟

الرجل: أريد منك أن تطلب منها أن تبقى ساعتين.

روجيه: شانتال تنتمي...

شانتال: لا تنتمي إلى أي شخص!

روجيه: ...إلى زمرتي.

الرجل: إلى الثورة!

روجيه: إذا أردتم قائدة للرجال، أصنعوها.

الرجل: لقد فتشنا عنها ولم نجد. حاولنا أن نصنع واحدة لها صوت رائع وصدر جميل عارٍ كما يجب، وبلا بريق في عينيها، وأنت تعرف بلا بريق... لقد طلبنا قائدات من أحياء الشمال وقائدات من حي داكلوس، لا يوجد لديهن وقت.

شانتال: امرأة مثلي؟ امرأة أخرى؟ لا أملك أن أتصرف إلا بوجهي الذي يشبه اليوم وصوتي الأجش، أعطيهم صوتي ووجهي أو أعيرهم إياهما من أجل الحقد. فأنا لا شيء إلا وجهي وصوتي، وفي داخلي توجد طيبة رائعة مسمومة. لديّ منافسان شعبيان ومنافسان مُقمِّلان؟ ليأتوا إلى هنا، سأهزمهم، وأصبح بلا منافس.

روجيه (منفجراً): لقد أخرجتها من القبر، وها هي الآن تهرب مني وتقفز إلى السماء، إذا قمتم باستئجارها...

الرجل: لم يُطلب منك ذلك. إذا تم جلبها، سيتم استئجارها.

شانتال (متسلية): بكم؟

روجيه: حتى ولو تم استئجارها كي تذهب وتغني وتقود سكان ضواحيك، ولكن إذا ماتت، نضيع جميعاً، ولن يحل محلها أحد.

الرجل: كانت قد وافقت.

روجيه: لم تعد حرة، فهي تنتمي إلينا، إنها دليلنا. نساؤك لا يفيدون إلا بإزالة ووضع الحجارة أو بإعادة شحن سلاحكم. أعرف بأن ذلك مفيداً، ولكن...

الرجل: في المقابل، كم تريد من النسوة ؟

روجيه (مفكراً): إنها ثمينة جداً، فهي تغني على الحواجز؟

الرجل: كم تريد؟ عشرة نساء مقابل شانتال؟ **(صمت)** عشرين؟

روجيه: عشرين امرأة؟ هل كنتم جاهزون كي تدفعوا لي مقابل شانتال عشرين امرأة معاقة، عشرين بيضة، عشرين رأس ماشية؟ بذلك فإن شانتال هي شخص استثنائي ؟ وأنت تعرف من أين تأتي؟

شانتال (تخاطب روجيه، صارخة): أعود كل صباح – لأنني ألمع في الليل – أعود إلى كوخ قذر كي أنام فيه – أعود طاهرة يا حبيبي وأشرب في الكوخ نبيذاً أحمر. أعزي المساكين وأغني لهم بصوتي الأجش وغضبي المصطنع وعيوني المخدرة وإشراقتي المزركشة وشعري الأندلسي. سيكسبون، وإنه لشيء مضحك بأن يكون ذلك انتصاري.

روجيه (يفكر): عشرين امرأة مقابل شانتال؟

الرجل (بصراحة): مئة امرأة.

روجيه (لا زال يفكر): سيتم الانتصار بواسطتها على الأرجح. الآن هي تجسد الثورة...

الرجل: مئة. هل أنت موافق؟

روجيه: أين تصحبها؟ وماذا عليها أن تفعل؟

شانتال: أطمئن، لدي نجوميتي؟ أما ما تبقى، فأنت تعلم سلطتي. هم يحبونني ويصغون إلي ويتبعونني.

روجيه: ماذا عليها أن تفعل؟

الرجل: لا شيء تقريباً. نحن نهاجم القصر في الفجر كما تعلم. شانتال ستدخل أولاً، وستغني من الشرفة. وهذا كل شيء.

روجيه: مائة امرأة. ألف امرأة وربما أكثر. لم تعد شانتال امرأة، فقيمتها تزيد بمقدار تزايد القهر واليأس، لقد تأطرت شانتال في صورة لأي تصورّ. لم يعد النضال يجري في الواقع وإنما في حقل مغلق، في حقل أزرق. إنها معركة الرموز. ولم نعد نرى أسباب ثورتنا، ولذلك توجب عليها الوصول إلى هنا.

الرجل: في هذه الحالة، هل الرد بنعم؟ شانتال أجيبي. عليك أن تجيبي.

شانتال (تخاطب الرجل): ابتعد عني. لا زال عليّ قول بعض الكلمات.

(يبتعد الرجال الثلاثة ويدخلون في الظل)

روجيه (بعنف): أنا لم أسرقك كي تكوني وحيد قرن أو نسراً برأسين.

شانتال: أنت لا تحب إناث وحيد القرن؟

روجيه: لم أعرف مضاجعتها على الإطلاق (يداعبها) ولا حتى مضاجعتك أنت أيضاً في الحقيقة.

شانتال: تريد أن تقول لي بأنني لا أعرف أن أحب. هل أخيب ظنك. ومع ذلك فأنا أحبك وأنت تؤجرني مقابل مئة عاملة تعمل في الشرفات.

روجيه: اعذريني. فأنا مضطر لذلك. ومع ذلك فأنا أحبك. أحبك ولا أعرف قول ذلك لك، لا أعرف أن أغني. والغناء هو الملجأ الأخير.

شانتال: علي أن أرحل قبل أن يطلع الصباح. إذا نجحت زمرة الحي الشمالي ستموت الملكة في غضون ساعة. سيضيع قائد الشرطة. وإذا لم تجر الأمور هكذا، فإننا لن نخرج من هذا الماخور على الإطلاق.

روجيه: دقيقة إضافية يا حبيبتي، يا حياتي، لا زال الوقت ليلاً.

شانتال: إنها الساعة التي ينفصل فيها الليل عن النهار، دعني أرحل يا حمامتي.

روجيه: لن احتمل اللحظات التي ستمر بدونك.

شانتال: لن ننفصل عن بعضنا، أقسم لك بذلك. سأخاطبهم بنبرة قاسية، وفي الوقت ذاته سأهمس من أجلك كلمات حب، ستسمعها من هنا، وسأصغي إلى الكلمات التي ستقولها لي.

روجيه: شانتال، بوسعهم حمايتك. إنهم أقوياء، ويقال بأنهم أقوياء مثل الموت.

شانتال: لا تخشى شيئاً يا حبيبي. أعرف مقدرتهم، لكن رقتك وحنانك أقوى. سأتحدث إليهم بصوت قاسٍ، وسأقول لهم ما يطلبه الشعب. سيصغون إليّ لأنهم خائفون. دعني أرحل.

روجيه (يصرخ): شانتال، أحبك!

شانتال: ولأنني أحبك عليّ أن أسرع بالرحيل.

روجيه: هل تحبينني؟

شانتال: أحبك لأنك حنون ورقيق، أنت أقوى وأشد الرجال. رقتك وحنانك يجعلانك خفيفاً مثل قطعة قماش حريري، ودقيقاً مثل ضباب متناثر ورقيقاً مثل نزوة. عضلاتك العريضة وساعداك وفخذاك ويداك أكثر تجرداً من العبور من النهار إلى الليل. أنت تحيطني وأنا أحتويك.

روجيه: شانتال أحبك لأنك قاسية وشديدة، أنت أكثر النسوة حناناً ورقة. عذوبتك ورقتك يجعلانك صعبة مثل درس تعليمي وقاسية مثل الجوع وصلبة مثل قطعة جليد. ثدياك وبشرتك وشعرك هي أكثر واقعية من يقين منتصف النهار. أنت تحيطينني وأنا أحتويك.

شانتال: عندما سأكون هناك، عندما سأتحدث إليهم، سأصغي في نفسي إلى تأوهاتك وشكواك وضربات قلبك. دعني أرحل.

(يستوقفها)

روجيه: لا زال لديك وقت. بقي القليل من الظل حول الجدران. ستمرين من خلف الأسقفية. تعرفين الطريق.

أحد الثوار (بصوت منخفض): حان الوقت شانتال. لقد طلع النهار.

شانتال: سأكون أفضل من أي شخص. فأنا موهوبة.

روجيه: إنهم حذقون ومحتالون...

شانتال: سأخترع الحركات والتعابير والجمل، وسأفهم قبل أن ينطقوا بكلمة، ستكون فخوراً بانتصاري.

روجيه: ليذهب الآخرون من هنا. (يتوجه إلى الثوار ويصرخ) هيا اذهبوا أنتم. وأنا، إذا خفتم. سأقول لهم بأن عليهم الخضوع لأننا نحن القانون.

شانتال: لن تصغوا إليه، إنه ثمل. (تتوجه إلى روجيه) هم لا يعرفون إلا أن يتقاتلوا وأنت لا تعرف إلا أن تحبني. إنه الدور الذي تعلمت أن تلعبه. أما أنا فشيء آخر. الماخور سيخدمني على الأقل، لأنه هو من علمني فن التنكر والتمثيل. أحفظ الكثير من الأدوار وأعرفها كلها تقريباً. وكان عندي الكثير من الزبائن...

روجيه: شانتال!

شانتال: الكثير من العلماء والمحتالين والفصحاء العارفين لدرجة أن علومي وفكري وفصاحتي لا تضاهيهم. أستطيع أن

أخاطب الملكة بصيغة المفرد وكذلك البطل والقاضي والأسقف والجنرال والمجموعة البطولية... وأخدعهم.

روجيه: أنت تعرفين الأدوار كلها، أليس كذلك؟ قبل قليل كنت تنطقين بالكلمة الأخيرة قبل أن أتكلم.

شانتال: يمكن تعلم ذلك بسرعة. وأنت نفسك...

(اقترب الثوار الثلاثة)

أحد الثوار (يسحب شانتال): يكفي كلاماً، هيا.

روجيه: شانتال ابقي!

(تبتعد شانتال، يصحبها الثوار).

شانتال (ساخرة): أحيطك وأحتويك يا حبيبي...

(تختفي باتجاه الشرفة يدفعها ثلاثة رجال).

روجيه (وحيداً يقلد صوت شانتال): وملكت الكثير من الزبائن من العارفين والمحتالين... (يستعيد صوته) كان عليها أن تجتهد في نطق آخر كلمة من دورها قبل أن يتكلموا. فالرد الذي يريدونه. سيكون لديها في الحال. زبائن من المحتالين والعارفين. ستكون الرد الذي ينتظرونه...

(يتراجع وهو يتكلّم حتى يختفي في الكواليس، وينزاح الديكور شيئاً فشيئاً إلى جهة اليسار. إظلام تام. عندما تضاء المنصة من جديد، نشاهد ديكور اللوحة التالية).

اللوحة السابعة

الديكــور

كان الصالون الجنائزي مثار جدل في تعداد الصالونات لدى السيدة إيرما. لقد تهدم هذا الصالون. تمزقت الأقمشة ــ السوداء والمخملية المخرمة – في هذه الأثناء، تفككت التيجان اللؤلؤية. يوجد انطباع بالخراب. تمزق ثوب إيرما وأصبح خرقة. بزّة قائد الشرطة تمزقت هي أيضاً.

جثة آرتور وضعت في شبه قبر مزيف مصنوع من المرمر الأسود المزيف، يبدو كل شيء قريباً. تظهر شخصية جديدة: مبعوث البلاط. يرتدي لباس سفير. وحده في حالة جيدة. ترتدي كارمن زيها الذي كانت ترتديه في البداية. انفجار قوي يجعل الجميع يرتجف.

المبعوث (مرتاحاً وجدياً في آن): منذ قرون طويلة لا أدري منذ متى والعالم منهمك في تنقيتي... ويجعلني حذقاً... (يضحك). لا أدري ماذا تهدم بهذا الانفجار، ونظراً لقوته

فهو خليط من صوت المجوهرات المكسرة والمرايا المحطمة، يبدو لي أن الانفجار قد حصل في القصر الملكي... (الجميع ينظرون إلى بعضهم البعض مكدرين). لم نُظهر أي انفعال جرّاء ذلك. طالما أننا لم نصبح مثل هذا... (يشير إلى جثة آرتور).

إيرما: لم يكن يصدق نفسه بأنه سيستطيع أن يلعب دور الجثة بصورة جيدة هذا المساء.

المبعوث (مبتسماً): لو لم يلق وزير داخليتنا المصير ذاته لكان مسروراً. فأنا للأسف عليّ أن أحل محله في مهمته لديكم، ولم يعد لدي أي تذوق لهذه الأنواع من المواربة. (يلمس برجله جثة آرتور). نعم، فهذا الجسد جعل وزيرنا العزيز يغمى عليه.

إيرما: لا تصدق شيئاً من ذلك سيدي المبعوث. ما يريده هؤلاء السادة هو خداع البصر. قد يحب الوزير جثة مزيفة. وآرتور ميت حقيقي. انظر إليه، إنه الآن حقيقي أكثر منه عندما كان حياً. كل شيء فيه يسارع إلى الثبات.

المبعوث: لقد صُنع إذاً من أجل المجد.

قائد الشرطة: هو؟ منحط وجبان...

المبعوث: هو مثلنا، كان يسعى للثبات، يسعى لما نسميه الطقس. ودعوني أُشيد بشكل عابر بالخيال الذي نظم صالوناً جنائزياً في هذا المنزل.

إيرما (بتكبر): لم تر فيه إلا جزءاً!

المبعوث: كانت فكرة من؟

إيرما: حكمة الأمم سيدي المبعوث.

المبعوث: إنها تصنع الأشياء جيداً. ولكن لنتذكر الملكة التي مهمتي حمايتها.

قائد الشرطة (غاضباً): أنت تقوم بذلك بصورة فضولية. فالقصر وفق ما تقول...

المبعوث (مبتسماً): في الوقت الحالي فإن سموها في مكان آمن. ولكن الوقت يسير بسرعة. تم نهب الأسقفية والفوضى تعم قصر العدل والأركان العامة...

قائد الشرطة: ولكن الملكة؟

المبعوث (بلهجة هادئة جداً): إنها تطرز. ذات لحظة خطرت على بالها فكرة العناية بالجرحى. ولكن تم إخبارها بأن العرش مهدد، فتوجب عليها أن تحمل الامتيازات الملكية إلى أقصى ما يمكن.

إيرما: من يكونون؟

المبعوث: العزلة. تنعزل سموها وحيدة في غرفة. إن تمرد شعبها يحزنها. إنها تطرز منديلاً. وإليكم الرسم، ستطرز الزوايا الأربع بزهر الخشخاش. وسُيطرز وسط المنديل، بالحرير الأزرق الباهت، وستكون بجعة واقفة في الماء. وهذا فقط ما يقلق جلالتها: هل سيكون الماء ماء بحيرة أم

مستنقع أم بركة؟ أو هل سيكون ببساطة ماء دلو أو كأس؟ إنها مشكلة خطيرة. اخترنا ذلك، لأنه من المستحيل أن تستطيع الملكة العزلة في حالة من التأمل المتواصل.

إيرما: هل الملكة تتسلى؟

المبعوث: جلالتها تسعى لأن يكون كل شيء كما يجب أن يكون، أي أن تكون الملكة. (ينظر إلى الجثة). وهي أيضاً تسير بسرعة نحو الثبات.

إيرما: وهي تطرز؟

المبعوث: كلا يا سيدتي. قلت بأن الملكة تطرز منديلاً، فإذا كان واجبي أن أصف حالتها، فمن واجبي أيضاً أن أخبئها.

إيرما: تود أن تقول بأنها لا تطرز؟

المبعوث: أريد أن أقول بأن الملكة تطرز ولا تطرز. إنها تنظف فتحات أنفها، وتتفحص المخاط المتيبس الذي نزعته من أنفها، وتعود إلى الفراش ثانية، ثم تنشف الأواني.

إيرما: الملكة؟

المبعوث: لا تعتني بالجرحى، فهي تطرز منديلاً غير منظور...

قائد الشرطة: يا اسم الرب! ماذا فعلتم بجلالتها؟ أجب، وبلا مواربة. أنا لا أتسلى...

المبعوث: إنها تنام في صندوق وتلفها ثنيات المُلك، إنها تَشخر...

قائد الشرطة (مهدداً): هل المكلة ماتت؟

المبعوث (غير مكترث): إنها تَشخر ولا تَشخر. رأسها المنمنم يحمل تاجاً من المعدن والأحجار الكريمة ولم ينثنِ.

قائد الشرطة (لا زال أكثر تهديداً): لندع ذلك. قلت لي بأن القصر في خطر... ماذا ينبغي أن نفعل؟ لا زال معي كامل رجال الشرطة تقريباً. ما تبقى لديّ من رجال مستعدين للموت من أجلي... يعرفون من أكون وما سأفعله من أجلهم... فأنا أيضاً لي دور عليّ أن ألعبه. ولكن إذا كانت الملكة ميتة، سيتم إعادة النظر بكل شيء. فأنا أعتمد عليها وباسمها أعمل كي أصنع لنفسي اسماً. أين هي الثورة إذاً؟ كن واضحاً.

المبعوث: أحكم عليها من خلال حالة هذا المنزل. ومن خلال حالتك... يبدو أن كل شيء ضاع.

إيرما: أنت من البلاط سعادتك. قبل أن آتي إلى هنا، كنت مع المجموعة حيث صنعت أسلحتي الأولى. أؤكد لك بأنني وجدت حالات أسوأ. الأوباش ــ تم إبعادي بضربة كعب ــ من أين يطلق الأوباش القنابل تحت نوافذي الكثيرة، ومع ذلك بقي منزلي بحالة جيدة. لم تتأثر غرف منزلي لكنها تلقت الضربة. بناتي المومسات، باستثناء واحدة مجنونة، تواصلن عملهن. لو كان مركز القصر امرأة مثلي...

المبعوث (غير مكترث): الملكة تقف على قدم واحدة وسط غرفة فارغة وهي...

قائد الشرطة: كفى! لقد ضقت ذرعاً من أُحجياتكم، في رأيي على الملكة أن تكون أحداً ما. هل تصف الحالة الملموسة بالتمام. ليس لديّ وقت أضيعه.

المبعوث: ماذا تريد أن تنقذ؟

قائد الشرطة: الملكة!

كارمن: العَلَم!

إيرما: بشرتي.

المبعوث (مخاطباً قائد الشرطة): هل بوسعك أن تصف لي الملكة، وبعد ذلك العلم وكل أطيافه الذهبية ونسره وحباله وصاريته إذا كنت تود إنقاذهم ؟

قائد الشرطة: خدمت حتى الآن بتقدير كل ما ذكرت، ولم يشغلني عن معرفتهم شيء آخر إلا ما كنت أراه. سأستمر في ذلك. أين هي الثورة؟

المبعوث (مستسلماً): ستحتوي قضبان الحديقة الحشد في وقت قصير. والحرس متفانون مثلنا للتضحية من أجل ذات مبهمة. سيموتون من أجل ملكتهم. سيهبون دمهم، للأسف لم يعد ثمة دم يكفي لإغراق الثورة. لقد كُدست أكياس ترابية أمام الأبواب. وبهدف تغيير الحجة بذاتها، انتقلت جلالتها من غرفة سرية إلى غرفة أخرى ومن المكتب إلى صالة العرش ومن المراحيض إلى قن الدجاج ومنه إلى كنيسة صغيرة ومنه إلى مخفر الحرس... لا يمكن

العثور عليها، وبذلك فهي تواجه تهديداً غير منظور. هذا فيما يخص داخل القصر.

قائد الشرطة: والقائد الأعلى للجيوش؟

المبعوث: مجنون وتائه في الحشد، لم يسئ إليه أي شخص، فجنونه يحميه.

قائد الشرطة: والقاضي؟

المبعوث: إنه يموت من الخوف.

قائد الشرطة: والأسقف؟

المبعوث: حالته صعبة جداً. تتكتم الكنيسة على حالته. لا يُعرف أي شيء عنه. لا شيء دقيقاً عنه. يقال إنه تم العثور على رأسه مقطوعاً على مقود دراجة نارية. من الطبيعي أن يكون ذلك وهماً، في هذه الحالة لا يُعتمد إلا عليك، إلا أن أوامرك تصل بصورة سيئة.

قائد الشرطة: لدي ما يكفي من الرجال المتفانين في الأسفل والأروقة والصالونات وهم مستعدون لحمايتنا جميعاً. بوسعهم البقاء على اتصال مع رجال الأمن خاصتي...

المبعوث (مقاطعاً): هل يرتدي رجالك زياً رسمياً؟

قائد الشرطة: بالطبع، فهم مرتبطون بحاشيتي. هل تتخيلني مع حاشية بزي رياضي؟ إنهم بزي رسمي أسود، وعلمي الصغير لا يزال في علبته في الوقت الراهن. إنهم شجعان ويريدون الانتصار أيضاً.

المبعوث: من أجل إنقاذ ماذا؟ (مرور زمن). أنت لا تجيب؟ هل سيزعجك أن ترى الأشياء بصورتها الصحيحة؟ وأن تلقي نظرة هادئة على العالم، وأن تقبل مسؤولية ما ترى مهما كان الشيء الذي تراه.

قائد الشرطة: باختصار هل كنت تفكر بشيء محدد عندما جئت لرؤيتي؟ هل كانت لديك خطة؟ قل ما هي؟

(يسمع انفجار ضخم فجأة. ينبطح الاثنان، إيرما تظل واقفة. ثم ينهضان وينفضان الغبار عن ثيابهما على التوالي).

المبعوث: قد يكون هذا الانفجار في القصر الملكي، يعيش القصر الملكي.

إيرما: ولكن بعد ذلك، عما قليل... الانفجار؟...

المبعوث: لن ينتهي القصر الملكي من ذلك على الإطلاق. فهو يتعرض لانفجارات متواصلة.

(تدخل كارمن: تضع وشاحاً أسود على جثة آرتور وتقف بخشوع).

قائد الشرطة (مكدراً): ولكن الملكة... هل الملكة تحت الأنقاض في هذه الحالة ؟...

المبعوث (ضاحكاً بالخفاء): اطمئن، إن جلالتها في مكان آمن. وطائر الفنيق الميت هذا، سيطير مرة أخرى من رماد قصر ملكي. أعرف بأنك تضيق ذرعاً لتبرهن لها عن شجاعتك وتفانيك... ولكن الملكة تنتظر الوقت المناسب.

(مخاطباً إيرما) عليّ أن أحيي دمك البارد سيدتي. وشجاعتك، فهما جديران بأسمى تقدير (حالماً) بأسمى تقدير...

إيرما: نسيت مع من تتحدث. صحيح بأنني أدير ماخوراً ولكنني ما ولدت جراء زواج بين القمر وتمساح أمريكي، كنت أعيش بين الشعب... حتى أن الصدمة كانت قاسية والشعب...

المبعوث (حاداً): دعك من هذا. عندما يموت الإنسان، تتعلق اليدان بوشاح. ماذا تفيد هذه الخرقة عندما ستخترقين الثبات الصادر عن العناية الإلهية؟

إيرما: سيدي؟ تود أن تقول لي بأنني أحتضر.

المبعوث: (يتفحصها، يتفحصها بدقة): غبية متعجرفة! فخذان ثابتان! كتفان قويتان!...

إيرما (تضحك): أرادوا ذلك مسبقاً، هل تتخيل، ولم يفقدني ذلك صوابي. في النهاية سأقوم بموت قابل للتقديم إذا استعجل الثوار وتركوني عذراء. ولكن إذا ماتت الملكة...

المبعوث (منحنياً): تعيش الملكة يا سيدتي.

إيرما (غير مكترثة ثم غاضبة): لا أحب أن أكون محط سخرية. أوقف قصصك وبسرعة.

المبعوث (حيوي): أنا أصف لك الوضع. الشعب في غضبه وبهجته على حافة النشوة، لذلك فنحن من عليه أن يسارع إليه.

إيرما: بدلاً من البقاء هنا والتفوه بالحماقات، اذهب وانبش أنقاض القصر لانتشال الملكة. حتى ولو كانت مشوية...

المبعوث (صارماً): لا، لا يمكن تقديم ملكة مشوية ومسلوقة. حتى أنها كانت أقل جمالاً منك وهي حية.

إيرما (تنظر إلى نفسها في المرآة بسعادة): لقد جاءت من مكان بعيد... وكبيرة في السن... وفي النهاية ربما كانت تخاف أيضاً مثلي.

قائد الشرطة: نواجه الكثير من السوء كي نتقرب منها، وكي نكون جديرين بنظرة من نظراتها. ولكن لو كنا الملكة ذاتها؟...

(تتوقف كارمن كي تصغي).

إيرما: (خائفة بطريقة غبية): لا أقوى على الكلام. إن لساني يتلعثم في كل ثانية.

المبعوث: يجب أن يجري كل شيء بصمت. فاللياقة لا تسمح لأحد بأن يقطع حبل الصمت.

قائد الشرطة: سأفعل ما يتوجب فعله من أجل رفع أنقاض القصر الملكي. وإذا كانت الملكة محبوسة مثلما تقول في صندوق, من الممكن إنقاذها...

المبعوث (رافعاً كتفيه): الصندوق من الخشب الوردي اللون! وقديم ومستهلك جداً!...

(يخاطب إيرما ويمرر يده على عنقها) نعم, يتوجب فِقرات صلبة... فالأمر يتعلق بفِقرات تزن عدة كيلوغرامات...

قائد الشرطة: وتقاوم السكين الحادة, أليس كذلك؟ إيرما لا تصغي لذلك! (إلى المبعوث) وأنا في هذه الحالة ماذا أصبح؟ صحيح بأنني الرجل القوي في البلاد، وهذا لأنني اعتمدت على الملكة. فرضت احترامي على عدد كبير، لأنني كنت أخدم الملكة بصورة جيدة... حتى ولو كنت أتظاهر أحياناً بالنذالة... أتظاهر، هل تسمعين؟... ليس إيرما...

إيرما (تخاطب المبعوث): في الحقيقة سيدي، أنا ضعيفة وهشة جداً. قبل قليل كنت أخشى...

المبعوث (بصورة سلطوية): حول هذا اللوز الجميل والثمين سنصوغ نواة من الذهب والحديد. ولكن عليكم أن تقرروا سريعاً.

قائد الشرطة (غاضباً): ها هي إيرما التي ستمضي قبلي! كل السوء الذي أظهرته كي أكون السيد لن يخدم بشيء. في حين أن إيرما المحبوسة في صالونها ستكتفي بتحريك رأسها... وإذا كنت أنا في السلطة، لرغبت بفرض إيرما...

المبعوث: مستحيل. فأنت ستستمد سلطتك منها. وهي ستظهر القانون الإلهي. لا تنسَ بأنك لم تعد مُمثلاً في صالوناتها.

إيرما: أمهلوني قليلاً من الوقت...

المبعوث: بضعة لحظات، فالوقت يسير بسرعة.

قائد الشرطة: لو كنا نعرف بماذا تفكر الملكة الراحلة؟ لا نستطيع اتخاذ قرار بسهولة أيضاً. الحصول على الإرث بالاحتيال...

المبعوث (محتقراً): أنت تتخاذل. هل تخاف إن لم تكن ثمة سلطة أعلى منك؟ ولكن الكلام للسيدة إيرما...

إيرما (بصوت متكلف): في أرشيف عائلتنا الذي يعود تاريخه إلى زمن طويل، كان نقاش...

المبعوث (صارم): خزعبلات يا سيدة إيرما. في أقبيتنا، يعمل علماء الأنساب ليلاً نهاراً. التاريخ خاضع لهم. قلت بأنه لا يوجد لدينا دقيقة نضيعها للانتصار على الشعب، ولكن انتبهي! إذا كان الشعب يحبك فإن كبرياءه الوجداني قادر على التضحية بك. فهو يراك إما حمراء أرجوانية أو حمراء بلون الدم. وبسببك، إذا قتل كل من يعبده ودفع بهم في المجاري سيقودك معهم...

(لا زلنا نسمع الانفجار ذاته. المبعوث يضحك)

قائد الشرطة: الخطر كبير.

كارمن (تتدخل)، (تخاطب إيرما): الزينة جاهزة.

إيرما (تخاطب المبعوث): هل أنت متأكد على الأقل مما تقول ؟ هل أنت على تواصل جيد مع جواسيسك؟

المبعوث: إنهم ينقلون لنا بكثير من الوفاء المعلومات التي يدخلها خونتكم إلى صالوناتك. (مبتسماً) وعليّ القول بأننا نصغي إليهم بنفس الرعشة الممتعة. ولكن يجب العمل بسرعة. لقد بدأ السباق ضد الزمن. إما هم أو نحن. سيدة إيرما فكري بسرعة.

إيرما (رأسها بين يديها): إني! إني متعجلة يا سيدي. إني اقترب بأسرع ما يمكن إلى مصيري... (تخاطب كارمن) اذهبي لتري ماذا يفعلون.

كارمن: لقد حبستهم.

إيرما: حضريهم.

المبعوث (مخاطباً كارمن): ماذا سيفعلون بك؟

كارمن: أنا هنا من أجل الأبدية يا سيدي.

(تخرج)

المبعوث: شيء آخر، وهو أكثر روعة. تحدثت عن صورة تصعد إلى سماء الثورة منذ بضعة أيام...

إيرما: هل للثورة سماؤها أيضاً؟

المبعوث: لا تغاري منها. صورة شانتال تنتشر في الطرقات. صورة تشبهها ولا تشبهها. إنها تهيمن على المعارك. كانوا يناضلون أولاً ضد الديكتاتوريين المعروفين والوهميين، وفيما بعد صاروا يناضلون من أجل الحرية، وغداً سيموتون من أجل شانتال.

إيرما: الجاحدة، ناكرة الجميل! فقد كانت قارعة طبول معركة بواتيه التي طالما بحثوا عنها.

قائد الشرطة: لن تقاوم. فهي يتيمة مثلي. وإذا أصبحت صورة فإننا سنستفيد من ذلك. (زمن)... قناع...

المبعوث: الشيء الجميل على الأرض هو أن تصبحوا أقنعة.

(رنين مفاجئ. تذهب إيرما مسرعة لكنها تتراجع عن قرارها، وتخاطب رئيس الشرطة).

إيرما: إنها كارمن. ماذا تقول؟ ماذا تفعلون؟

(يأخذ قائد الشرطة إحدى السماعات)

قائد الشرطة (ناقلاً ما يسمع): ينظرون إلى أنفسهم في المرآة بانتظار اللحظة التي يعودون فيها إلى بيوتهم.

إيرما: إما أن يكسروا المرايا أو أن يحجبوها.

(صمت. يُسمع أزيز رصاص)

اتخذت قراري. أفترض بأنني كنت مدعوة لكلّ أبدية وبأن الله سيعاقبني. سأذهب لأهيئ نفسي بالصلاة...

المبعوث (صارماً): هل لديك مرحاض؟

إيرما: مرحاض مثل صالوناتي وخزائني المشهورة، (قلقة فجأة). لا شك بأن كل شيء في حالة يرثى لها! القنابل والجص والغبار. أخبروا كارمن! أن تنظف البذلات. (إلى قائد الشرطة) جورج... هذه اللحظة هي الأخيرة التي نكون فيها معاً! بعد ذلك، لن نكون...

(يبتعد المبعوث بصورة خفية ويقترب من النافذة).

قائد الشرطة (بحنو): لكنني أحبك.

المبعوث (ملتفتاً، وبلهجة باردة): فكروا في هذه الجبال الواقعة شمال المدينة. كان العمال جميعهم يعملون عندما انطلقت الثورة... (زمناً) أتحدث عن مشروع القبر...

قائد الشرطة (بشراهة): المشروع!

المبعوث: مؤخراً. حُفر في جبل من المرمر الأحمر غرف وأعشاش، ويوجد وسطه محرس صغير من الألماس.

قائد الشرطة: قد أستطيع السهر واقفاً حفاظاً عليه أو جالساً طوال مماتي؟

المبعوث: من سيملكه سيكون فيه ميتاً من أجل الأبدية، وحوله العالم يسير بانتظام. من حوله ستدور الكواكب والشمس. ومن نقطة سرية في الغرفة الثالثة يتفرع طريق سيؤدي بعد الكثير من التعقيدات إلى غرفة أخرى حيث المرايا فيها تمتد حتى اللانهاية... أقول إلى اللانهاية...

قائد الشرطة (بعفوية): "موافق": أنا أسير!

المبعوث: صورة الميت.

إيرما (تشد قائد الشرطة إليها): وهكذا سأصبح حقيقية؟ ثوبي حقيقي؟ دانتيل ثوبي ومجوهراتي حقيقية؟ وباقي العالم... (أزيز رصاص).

المبعوث (بعد أن ألقى نظرة أخيرة عبر الشبابيك): نعم، أسرعي. اذهبي إلى شقتك. طرزي منديلاً ما إلى ما لا نهاية... (إلى قائد الشرطة) وأنت أعطِ أوامرك إلى آخر من تبقى من رجالك.

(يذهب إلى مرآة. يُخرج من جيبه مجموعة من الأوسمة ويعلقها على سترته. وبلهجة سوقية).

تصرفوا بسرعة. إنني أضيع وقتي بالإصغاء إلى سخافاتكم.

اللوحة الثامنة

الديكــور

تبدو الشرفة ذاتها البارزة عن واجهة منزل مغلق. تُسحب درفات شبابيك مقابل الجمهور. وفجأة تفتح كل الدرفات من تلقاء ذاتها. طرف الدرابزين يحدد حافة الشرفة. يُرى من النوافذ الأسقف والجنرال والقاضي الذين يتأهبون للخروج. تُفتح النافذة في النهاية على مصراعيها. يخرجون إلى الشرفة.

يخرج أولاً الأسقف ثم الجنرال وبعده القاضي وفي النهاية البطل. ثم تخرج الملكة: السيدة إيرما تضع تاجاً على جبهتها وتلبس معطفاً من فراء القاقوم. تقترب الشخصيات من بعضها وتستقر في خجل كبير. يبدون صامتين ببساطة. يظهرون بأحجام ضخمة، مبالغ بضخامتها – باستثناء البطل أي قائد الشرطة – ويرتدون بزاتهم الاحتفالية الممزقة والمغبرة.

يظهر شحاذ بالقرب منهم ولكن خارج الشرفة.

الشحاذ (يصرخ بصوت رقيق): تعيش الملكة!

(يذهب بخجل مثلما جاء) في النهاية، تحرك ريح قوية الستائر: تظهر شانتال. يقدمها المبعوث بصمت إلى الملكة. تنحني الملكة لها. تخرج طلقة نارية. تسقط شانتال. يحملها الجنرال والملكة وهي ميتة.

اللوحة التاسعة

الديكور

تظهر في المشهد غرفة إيرما ولكنها تبدو بعد مرور عاصفة. في عمق الغرفة مرآة كبيرة بمشجبين تشكل جداراً. يوجد على اليمين باب وعلى اليسار باب آخر. ثلاث آلات تصوير منتصبة على قواعدها. يقف بالقرب من كل آلة تصوير مصور شاب بهي الطلعة يرتدي قميصاً أسود وبنطال جينز أزرق. تبدو وجوههم ساخرة. ثم يظهر من اليمين الأسقف ومن اليسار القاضي والجنرال، يبدون وجلين. وما إن يروا بعضهم حتى ينحني كل منهم للأخرين. ثم يحيي الجنرال الأسقف بطريقة عسكرية، ويبارك الأسقف الجنرال.

القاضي (يتنفس الصعداء): عدنا من البعيد!

الجنرال: لم ينته الأمر! إنها حياة، يجب اختراعها... حياة صعبة...

الأسقف (ساخراً):... لا، إنها حياة يجب أن نعيشها. لم يعد أحد منا بوسعه أن يرجعها إلى الوراء. قبل الصعود إلى العربة...

الجنرال: يا لبطء العربة!

الأسقف: ... كان من الممكن الصعود إلى العربة والهرب. لكن الآن...

القاضي: هل تعتقد بأنهم سيعترفون بنا؟ كنت مقنعاً بصورتيك الجانبيتين وأنت في الوسط. وإيرما مقابلي... (يندهش من هذا الاسم). إيرما؟ الملكة... كانت الملكة تخبئ وجهي... وأنت؟

الأسقف: لا يوجد أي خطر. أنت تعلم من رأيت... من ناحية اليمين... (لم يستطع أن يمنع نفسه من الضحك) فمه المكتنز الوردي الجميل على الرغم من أن المدينة تُدمر (ابتسامة تصدر عن ممثلين ثانويين آخرين) وغمّازتاه وأسنانه التالفة؟ وقد ارتمى على يدي... ظننت بأنه سيعضها فسحبت أصابعي... فقبل خاتمي؟ من هو؟ إنه من يزودني بزبدة الفول السوداني!

(القاضي يضحك).

الجنرال (حزيناً): يا لبطء العربة! عجلات العربة على أقدام وأيدي الشعب! والغبار!

القاضي (قلقاً): كنت مقابل الملكة. كان الزجاج الخلفي يظهر امرأة...

الأسقف (مقاطعاً): رأيتها أنا أيضاً على باب العربة اليساري كانت مسرعة لتقبلنا.

الجنرال (لا زال أكثر حزناً): يا لبطء العربة! كنا نتقدم ببطء شديد بين الحشد المتعرق! كان صراخه مثل تهديدات، ولم يكن ذلك إلا هتافات. قد يكون بمقدور رجل ما قطع عرقوب الخيل وإطلاق رصاصة من مسدس، وبوسعه أن يفك العربة وأن يلبسنا سرَج جواد وأن يعلقنا بزند عريش العربة أو بالجياد وأن يقطع أوصالنا أو أن يحولنا إلى جياد ضخمة وقوية، لم يحدث شيء من ذلك. أُلقيت بعض الزهور من نافذة، وانحنى عدد كبير من الناس أمام الملكة المنتصبة تحت تاجها المذهب... (فترة من الزمن) والجياد كانت تمشي الهُوَينا...والمبعوث يقفُ على سلم صغير!

(صمت)

الأسقف: لم يكن بمقدور أحد أن يتعرف علينا، لقد كنا مطليين بالذهب. وكان الناس مبهورين وفي أعينهم بريق يعكسه الذهب...

القاضي: كانوا على وشك أن...

الأسقف (لا زال ساخراً): كان الأبطال ينتظرون الموكب وقد أرهقتهم المعارك وخنقهم الغبار. فهم لا يرون إلا

الموكب. على أي حال لم يعد بوسعنا التراجع. لقد تم اختيارنا...

الجنرال: من اختارنا؟

الأسقف (بنبرة مفخمة فجأة): المجد ذاته.

الجنرال: اختارنا موكب المهزلة؟

الأسقف: تغير معنى هذه المسخرة يرتبط بنا. لنستخدم أولاً كلمات التمجيد. لنتصرف بسرعة وبدقة. ارتكاب الأخطاء غير مسموح به.

(بنبره سلطوية) بالنسبة لي، أنا الرئيس الرمزي للكنيسة في هذه البلاد، أريد أن أصبح فيها الرئيس الفعلي. بدلاً من أن أبارك وأبارك وأبارك حتى الإشباع، سأوقع مراسيم وأعين كهنة.

الإكليروس ينظم نفسه. الكنيسة الرئيسية قيد الإنشاء. كل شيء موجود هنا. (يُظهر ملفاً يحمله تحت ذراعه). إنه يمتلئ كلياً بالمخططات والمشاريع. (يخاطب القاضي). وأنت؟

القاضي (ينظر إلى ساعة يده): لدي موعد مع عدة قضاة. نحن نحضر نصوصاً قانونية، ونراجع مجموعة من القوانين. (متوجهاً إلى الجنرال) وأنت؟

الجنرال: آه، أنا، أفكاركم تجتاز رأسي الهزيل كما يجتاز الدخان كوخاً مبنياً من ألواح خشبية. لن ينجح فن الحرب من دون تحضير. فالأركان العامة...

الأسقف (مقاطعاً): مثل كل شيء. مصير الأسلحة ظاهر في نجومك. عد نجومك، باسم الله!

الجنرال: القول سهل، ولكن عندما سيعود البطل مستريحاً بثبات على قفاه كما يستريح على جواد... لأنه لا يوجد شيء بصورة عادية ؟

الأسقف: لا شيء. ولكننا لن نستمتع بسرعة كبيرة. إذا كانت صورتها لا تعرف أيضاً تقديس الماخور، من الممكن أن يحدث ذلك. في هذه الحالة سيكون هلاكنا. عليك أن تقوم بالجهد الكافي للاستيلاء على السلطة على الأقل.

(فجأة يقاطعه أحد ما. أحد المصورين ينظف حلقه كي يبزق، وآخر يفرقع بأصابعه مثل راقصة أسبانية).

الأسقف (صارماً): أنتم هنا. عليكم أن تعملوا بسرعة وبصمت قدر الإمكان. ستصورون كل جانب من وجوهنا، الصورة الأولى ضاحكة والثانية حزينة جداً.

المصور الأول: ننوي القيام بعملنا بصورة جيدة. (يخاطب الأسقف). بالنسبة للصلاة، ستكون في المكان ذاته! ستكون تقريباً بصورة رجل تقي يغمر العالم.

الأسقف (بلا حراك): في تأمل جياش.

المصور الأول: جياش؟ بالنسبة للحماسة.

الأسقف (غير مرتاح): ولكن... كيف؟

المصور الأول (ضاحكاً): أنت لا تعرف كيف تتهيأ للقيام بالصلاة؟

إزاء الله وإزاء الغاية في آن. اليدان مضمومتان. الرأس مرفوع. العينان منخفضتان. إنها الوضعية الكلاسيكية. العودة إلى النظام، العودة إلى الكلاسيكية.

الأسقف (جاثياً على ركبتيه): هكذا؟

المصور الأول (ينظر إليه بفضول): نعم... (ينظر إلى آلة التصوير). لا أنت لست في مجال التصوير... (يزحف الأسقف على ركبتيه، فيصبح في مجال آلة التصوير) حسناً.

المصور الثاني (مخاطباً القاضي): من فضلك، أرح قليلاً سحنتك. لا تبدو عليك هيئة قاضٍ. وجه طويل...

القاضي:شبيه بوجه حصان؟ وجه كئيب؟

المصور الثاني: شبيه بوجه حصان وكئيب سيدي القاضي. يديك إلى الأمام على ملفك... أريد تصوير القاضي. المصور الجيد هو الذي يقترح الصورة النهائية. رائع.

المصور الأول (مخاطباً الأسقف): التفت... قليلاً... (يبرم له رأسه).

الأسقف (غاضباً): ستفك رقبة أسقف!

المصور الأول: سيدي، عليك التوجه لله في الصورة التي تظهر ثلاثة أرباع الوجه (إنها بين الصورة الجانبية والأمامية).

المصور الثاني (مخاطباً القاضي): سيدي القاضي، قليلاً من الصرامة إذا كان ذلك ممكناً... شفتك متهدلة... (يظهر صرخة) آه! رائع! لا تهتم بشيء!

(يركض خلف آلة التصوير، وتظهر ومضة المصور الأول. ينزلق المصور الثاني تحت القماش الأسود لآلته).

الجنرال (مخاطباً المصور الثالث): الهيئة الأكثر جمالاً هي هيئة "الماريشال" تورين.

المصور الثالث (متخذاً وضعية): مع السيف؟

الجنرال: لا، لا، فهذه وضعية "الفارس" بايار. لا، الذراع ممتدة وعصا الماريشال...

المصور الثالث: آه، هل تريد أن تقول القائد ويلينكتون؟

الجنرال: لسوء الحظ، ليس لديّ عصا...

(في هذه الأثناء يتجه المصور الأول إلى الأسقف الذي ظل ثابتاً ويتفحّصه بصمت)

المصور الثالث (مخاطباً الجنرال): لدينا ما يجب أن يكون لدينا. خذ هذا واتخذ وضعية.

(يلف ورقة على شكل عصا مارشال ويعطيها للجنرال الذي يتخذ وضعية، ثم يركض إلى آلته، ومضة، إنه المصور الثاني الذي قام بالعملية).

الأسقف (مخاطباً المصور الأول): أتمنى أن تنجح الصورة. يتوجب الآن إغراق العالم بصورتي في الوقت الذي أُقدم فيه القربان. للأسف ليس لدينا خبزاً في متناول اليد...

المصور الأول: ثق بنا سيدي. لدى النقابة المورد. (ينادي). سيدي القاضي؟ (يقترب القاضي) من أجل صورة، هل تسمح بأن تعطيني يدك دقيقة (يأخذه من يده بصورة سلطوية ويضعها). يجب أن تظهر يدك وحدها... هنا... شمر كمك قليلاً... (يبحث في جيبه). (للأسقف) دلع لسانك. أكثر بكثير. حسناً (لا زال يبحث في جيوبه. ومضة، نهض الجنرال بعد أن تم تصويره). هراء! لا أملك شيئاً! (ينظر من حوله. يخاطب الأسقف). لا تتحرك، هذا الوضع رائع. هل تسمح؟

(من دون أن ينتظر الرد، يأخذ نظارة الجنرال أحادية العين ويعود حلقة الأسقف والقاضي. يجبر القاضي على وضع النظارة فوق لسان الأسقف، كما لو كان يناول خبز القربان، ويركض إلى آلة التصوير. تظهر ومضة آلة التصوير. ترى الملكة المشهد عندما دخلت منذ دقيقة برفقة المبعوث).

المبعوث (دائماً بلهجة منزعجة. كأنه على دراية بكل شيء منذ البداية): هذه صورة حقيقية، اُلتقطت من مشهد غير حقيقي.

المصور الأول (ساخراً): تُظهر معاليه كالمعتاد. عندما تم أسر الثوار، دفعنا الدركي ليضرب رجلاً كان أمامنا ذهب ليحضر علبة سجائر لي. كانت الصورة تظهر الثائر وهو يُضرب عندما كان يحاول الفرار.

الملكة: أمر مريع!

المبعوث: المهم في الأمر القراءة والصورة. أُنشئ التاريخ كي تُكتب وتُقرأ صفحاته المجيدة. (مخاطباً المصورين). الملكة تهنئكم أيها السادة. وتطلب منكم العودة إلى مواقعكم.

(يجلس المصورون الثلاثة في مواقعهم تحت القماش الأسود لآلات تصويرهم).

(صمت)

الملكة (بصوت منخفض تكاد لا تسمعه): هل هو غائب؟

المبعوث (يخاطب الوجوه الثلاثة): الملكة تود معرفة ماذا تفعلون وما تنوون فعله؟

الأسقف: استعدنا أكثر الأموات. ننوي تحنيط الجثث وإيداعها في سمائنا. عظمتكم تطلب بأن يتم قتل عدد كبير من المتمردين. لن نحتفظ لأنفسنا إلا ببضعة شهداء سقطوا في صفوفنا، سنجعل منهم شرفاء نتشرف بهم.

الملكة (تخاطب المبعوث): سيفيد ذلك عرشي أليس كذلك؟

المبعوث (مبتسماً): لا تزال المجازر عيداً لم يبخل الشعب فيها بكرهنا. أتحدث بالطبع عن "شعبنا". فهو يستطيع أن ينصب تمثالاً لنا في قلبه يمطره بالطعنات. أتمنى ذلك على أقل تقدير.

الملكة: لن تؤدي الوداعة والطيبة في هذه الحالة إلى شيء.

المبعوث (ساخراً): صالون سان فينسان دو بول؟

الملكة (غاضبة): أنت، سيدي القاضي ماذا تفعل؟ كنت أمرت بعدد قليل من عقوبات الموت والكثير من عقوبات الأعمال الشاقة. أتمنى أن تكون المخازن الواقعة تحت الأرض قد تم إنجازها؟ (تخاطب المبعوث). إن كلمة المحكومين بالأشغال الشاقة التي نطقتها تجعلني أفكر بقاعات الضريح. هل تم إنجازها؟

القاضي: تم إنجازها كلياً. وهي مفتوحة للعامة لزيارتها يوم الأحد، كما تم زخرفة بعض القباب بالهياكل العظمية للمحكومين بالموت أثناء عمليات الحفر ونقل التراب.

الملكة (تخاطب الأسقف): والكنيسة؟ سيكون كل من لا يعمل أسبوعاً على الأقل في هذه الكنيسة الرائعة في حالة من الخطيئة المميتة؟ (ينحني الأسقف).

(تخاطب الجنرال) وفيما يخصك، أعرف صرامتك، فجنودك يراقبون العمال، وقد استحقوا فعلاً اسم بنائي الرائع. (تتبسم بحنان بسحنة متعبة) لأنكم تعرفون أيها

السادة بأنني أريد تقديم هذا القبر للبطل. فأنتم تعلمون حزنه أليس كذلك، وكم سيتألم من كونه غير مُمثل حتى الآن.

الجنرال (متشجعاً): سيواجه الكثير من الأسى للوصول إلى المجد. تم الاستيلاء على الساحات منذ زمن طويل. كل كُوة في حائط تحتوي تمثالاً. (وبرضى عن النفس) نحن على الأقل...

القاضي: يكون الأمر كذلك عندما يراد الانطلاق من موضع منخفض جداً، وخاصة عندما نهمل أو ننكر المعطيات التقليدية. تبرئة الذمة نوعاً ما.

الملكة (انفعالية فجأة): ومع ذلك فهو الذي أنقذ كل شيء. لقد وعدكم بمواصلة احتفالاتكم.

الأسقف (بغطرسة): كي أكون صريحاً سيدتي، لم نعد نفكر بها الآن، فتنورتي تلفني وأمسك العجين في قماش مخرم. يتوجب التصرف.

الملكة (مغتاظة): التصرف؟ أنت؟ هل تريد أن تقول بأنك ستسلبنا سلطتنا؟

القاضي: علينا القيام بمهامنا؟

الملكة: مهامنا! هل تفكر في إسقاط سلطتنا، أو في تقليصها، أن تحل محل الملكة! المهام! المهام!

الأسقف: ضمن الزمن – ضمن الزمن أو في المكان! – ربما يوجد أعيان مكلفون بالشرف المطلق، ويرتدون ملابس حقيقية مزينة...

الملكة (غاضبة جداً): حقيقية! هؤلاء إذاً! هؤلاء الذين يلفونك ويضمدونك – كل فني في تقويم العظام! – وما يخرج من خزائني، ليس حقيقياً. ليس حقيقياً! ليس حقيقياً!

الأسقف (يشير إلى فروة القاضي وإلى حرير ثوبه والخ): جلد أرنب، ساتان، دانتيل مصنوع آلياً... هل تصدقون بأننا سنرضى بأن نكون مجرد صورة طيلة حياتنا؟

الملكة (ثائرة): ولكن هذا الصباح... (تصمت الملكة. يدخل قائد الشرطة بهدوء وبتواضع)

جورج، خذ حذرك منهم!

قائد الشرطة (محاولاً أن يبتسم): أعتقد بأن... النصر... نحن انتصرنا... هل أستطيع الجلوس؟

(يجلس متفحصاً، يبدو كأنه يستجوب الجميع)

المبعوث (ساخراً): لا، لم يأت أي أحد حتى الآن. كما لم يعرف أحد حاجة الفناء في صورتك الآسرة.

قائد الشرطة: المشاريع التي قُدمت إلي قليلة الفعالية. (إلى الملكة) لا شيء؟ لا أحد؟

الملكة (رقيقة جداً كما لو كانت تواسي طفلاً): لا أحد، ومع ذلك تم إغلاق الشبابيك الخارجية مجدداً، فالرجال قد يأتون. من جهة ثانية، الجهاز في مكانه، سيتم تنبيهنا بقرع أجراس الكنيسة.

المبعوث (يخاطب قائد الشرطة): لم يعجبك مشروعي الذي قدمته هذا الصباح. إنها صورة عنك تلازمك وستلازم الناس.

قائد الشرطة: غير مُجدٍ.

المبعوث (مشيراً إلى الصورة): معطف الجلاد الأحمر اللون ووركه. اقترحت اللون الأحمر القطيفي ووركاً فولاذياً.

الملكة (مغتاظة): يطلق على الصالون رقم 14 صالون الإعدامات الأساسية. تم تقديمه مسبقاً.

القاضي (ودوداً، يخاطب قائد الشرطة): ومع ذلك يُخشى منك.

قائد الشرطة: أخاف أن يصبح الخوف والغيرة من رجل، ولكن... (يبحث)، ولكن لن يكون على سبيل المثال عقصة شعر... أو سيكاراً... أو سوطاً. إن مشروع الصورة الأخير الذي قدم لي... أجرؤ بالكاد على الحديث عنه.

القاضي: هل كان... مشروعاً شجاعاً إلى حد كبير ؟

قائد الشرطة: كثيراً. أكثر من اللازم. لن أجرؤ إطلاقاً على أن أحدثّكم عنه.

(فجأة يبدو صارماً). أيها السادة، عندي ثقة كافية برأيكم وتفانيكم. بعد كل شيء، أريد أن أقود المعركة أيضاً بجرأة الأفكار. ها نحن ذا، لقد نصحوني بالظهور على شكل عضو تناسلي ضخم.

(تبدو الوجوه الثلاثة ووجه الملكة مكدرة)

الملكة: جورج! أنت؟

قائد الشرطة: إذا توجب عليّ أن أكون رمزاً للأمة فإن ماخورك...

المبعوث (مخاطباً الملكة): دعك منه سيدتي. إنها لهجة العصر.

القاضي: قضيب تناسلي؟ وحاد؟ هل تقصد بأنه ضخم؟

قائد الشرطة: على مقاسي.

القاضي: ولكن من الصعب جداً تحقيق ذلك.

المبعوث: ليس تماماً. التقنيات الجديدة وصناعتنا للكوتشوك ستسمحان بتنفيذ ذلك بصورة جميلة جداً. لا ليس هذا ما يقلقني، وإنما... (يلتفت نحو الأسقف)... ماذا ستفكر الكنيسة بخصوص ذلك؟

الأسقف (بعد تفكير، يرفع كتفيه): لا شيء يمكن أن يقال هذا المساء بشكل حتمي. بالطبع إن الفكرة جريئة (مخاطباً قائد الشرطة)، ولكن إذا كانت حالتك يائسة، ينبغي علينا دراسة الموضوع. لأن... ذلك سيكون تصويراً مشكوكاً فيه، وإذا توجب عليك نقله إلى الأجيال القادمة بهذا الشكل...

قائد الشرطة (بهدوء): هل تريد رؤية النموذج المصغر؟

القاضي (إلى قائد الشرطة): من الخطأ أن ينفد صبرك. لقد انتظرنا ألفي عام لنستكمل شخصيتنا. هل تأمل...

الجنرال (يقاطع قائد الشرطة): يتم الحصول على المجد في المعارك. أنت لا تملك ما يكفي من شموس معركة اوسترليتز. إما أن تقاتل أو تجلس وتنتظر الألفي عام النظامية.

(الجميع يضحك)

الملكة (بعنف): أنتم تسخرون من عذابه. أنا الذي اخترتكم! وأنا الذي وجدتكم في غرفة ماخوري وجندتكم من أجل مجده، ووافقتكم على خدمتي.

(صمت)

الأسقف (صارماً): هنا يطرح السؤال بصورة جدية للغاية: اذهب واخدم من نمثل أو اخدمنا... (يشير إلى الوجهين الآخرين). ... هيا بنا نجعلك تخدم من نمثل؟

الملكة (فجأة غاضبة): إن عبيداً مجردين من فرو الأرنب خاصتهم كما تقول، لن يكونوا أي شيء، أنت رجل أرقصوه عارياً – أي مجرداً من جلدك! في الساحات العامة في طليطلة وصقيلية! وكان يرقص! وسط ضجيج الصنجات، ما هي شروطكم أيها السادة؟

الأسقف: كان ينبغي الرقص هذا اليوم. وما يخص فرو الأرنب فهو ما يجب أن يكون، أي صورة القاقوم المقدسة، فهو يملك قوة واضحة في جلده.

قائد الشرطة: في الوقت الحالي.

الأسقف (متحمساً): طبعاً. طالما أننا كنا في غرفة ماخور، فنحن ننتمي إلى مخيلتنا، وعلينا أن نعرضها ونسميها وننشرها، نحن هنا مرتبطون بالناس، مرتبطون بك ومجبرون على مواصلة هذه المغامرة وفق قوانين الرؤية.

قائد الشرطة: أنتم لا تملكون أية سلطة، أنا وحدي...

الأسقف: في هذه الحالة سنعود إلى غرفنا ونواصل فيها البحث عن الكرامة المطلقة. كنا فيها بحالة جيدة وأنت عدت لتأخذنا منها. لقد كان الوضع جيداً. حالة من الراحة، كنا في السلام والرقة، وخلف النوافذ والستائر المبطنة، تحمينا نساء يقظات وشرطة حماية المواخير، كان بوسعنا أن نكون قاضياً وجنرالاً وأسقفاً حتى الكمال والمتعة! أخذتنا بفظاظة من هذا الوضع الرائع الخالي من الأسى!

الجنرال (يقاطع الأسقف): سروالي! أية سعادة أشعر بها عندما كنت أرتدي سروالي! حالياً أنا أنام بسروال الجنرال، آكل بسروال الجنرال وأرقص الفالس – عندما أرقص الفالس! – بسروال الجنرال، أعيش بسروال الجنرال. فأنا جنرال مثلما أنت أسقف!

القاضي: أنا لست إلا كرامة تمثلها تنوره تحتية.

الجنرال (مخاطباً الأسقف): لا أستطيع أن أهيئ نفسي في أية لحظة! – قديماً كنت أحضر نفسي فترة شهر لارتداء سروالي ولبس جزمتي، جزمة الجنرال. فأنا أملكهما من أجل الأبدية وحول رجلي. أقسم بأنني لم أعد أحلم.

الأسقف (مخاطباً رئيس الشرطة): هل ترى، لم يعد يحلم. ينهار النقاء التزييني، الذي هو ظاهرنا الفخيم والعقيم والسامي. لن تسترد النقاوة مرة أخرى، وليكن ذلك. لقد بقي لنا طعم المسؤولية الحلوة المرة، ونجده ممتعاً. لم تعد غرفنا سرية. هل كنتم تتحدثون عن الرقص؟ هل تذكرتم تلك الأمسية المشهورة المجردة والمسلوخة، خذ الكلمة التي تعجبك، من زيناتنا الكهنوتية، وتوجب علينا الرقص عراة في الساحات الإسبانية. رقصت، واعترفت بأنني رقصت وسط الضحكات، ولكنني على الأقل رقصت. في حين لو كان لدي رغبة بالرقص الآن، عليّ أن أقوم بذلك سراً، وأن آتي إلى ماخور الشرفة حيث أحصل فيه على غرفة تم تحضيرها من أجل الأحبار الذين يريدون راقصات باليه لبضعة ساعات في الأسبوع. لا، لا... سنعيش في الضوء ولكن بما يحتويه هذا الضوء. سنعمل قاضياً وجندياً وحبراً لإنقاص زينتنا بصورة متواصلة! سنعمل على خدمتها! ولكن كي تفي بالغرض وتخدمنا ــ طالما أننا اخترنا الدفاع عنه – عليك أن تعترف بالزينة أولاً وتشيد بها.

قائد الشرطة (هادئاً): كلا، الصورة المئة ألف المنعكسة عن مرآة تكرر نفسها، سأكون الوحيد من بين مئة ألف يريدون خلط الحابل بالنابل. كنتم ستهلكون بدوني.إن تعبير "تيقظ كبير" له معنى.

(يستعيد السلطة أكثر فأكثر).

الملكة (تخاطب الأسقف بلباقة): أنت ترتدي هذا الثوب هذا المساء لأنك لم تستطع التنكر أيام صالوناتي، لم يكن ينتهي بك الأمر إلى نزع إحدى صورك المئة ألف المنعكسة، ولكن الزبونية تعود مجدداً... نحن غير مستعجلين، غير أن كارمن سجلت عدة دخلات... (إلى قائد الشرطة). لا تزعج نفسك. كان عددهم كبيراً قبل الثورة... (تخاطب الأسقف) لو لم يكن لديك الفكرة المريعة لذبح شانتال...

الأسقف (مذعوراً بطريقة متصنعة): طلقة لم تصب هدفها!

الملكة: سواء أصابت أم لم تصب طلقة هدفها، شانتال قُتلت على الشرفة، على شرفة بيتي! كانت عندها قد جاءت كي تراني هنا، كي ترى رئيستها...

الأسقف: خطر على بالي أن أجعل منها إحدى قديساتنا.

قائد الشرطة: موقف تقليدي، يصدر عن رجل كنيسة، ولكن لا يتوجب تهنئتك على ذلك. صورتها مسمرة على علمنا، لم يكن بوسعها فعل شي، أو بالأحرى... بلغني من كل مكان بأنه تم مقايضتها، شانتال عاقبها من كان عليهم إنقاذها...

الملكة (قلقة): ولكن الآن، كل شيء يبدأ من جديد!

(انطلاقاً من هذه اللحظة يبدو على الملكة وقائد الشرطة بأنهما قلقان جداً. تذهب الملكة لسحب ستائر نافذة بعد أن حاولت النظر إلى الشارع).

المبعوث: الجميع.

الجنرال: هل سيتوجب... الصعود إلى العربة مجدداً؟ يا لبطء العربة!

الأسقف: إذا كنت قد قتلت شانتال، ثم رفعتها إلى مرتبة القديسين، إذا كنت مزقت صورتها إلى أربع قطع على العلم...

الملكة: صورتي التي ينبغي أن تكون على العلم...

المبعوث: أنت الآن على الطوابع البريدية وعلى البطاقات المصرفية وعلى أختام المفوضيات.

الجنرال: العربة بطيئة...

الملكة: في هذه الحالة لن أكون ما أنا عليه على الإطلاق؟

المبعوث: إطلاقاً.

الملكة: كل حدث في حياتي.. دمي الذي يقطر فيما لو انخدشت...

المبعوث: كل شيء سيكتب من أجلك بالحرف الكبير.

الملكة: ولكن هل هذا هو الموت؟

المبعوث: هو بعينه.

قائد الشرطة (بحالة سلطوية مفاجئة): إنه الموت لكم جميعاً، ولذلك أنا متأكد منكم، على الأقل لن أكون ممثلاً. لأن بعد ذلك، لن يكون لدي إلا أن أستريح. (مفكراً) من ناحية ثانية، إن أي ضعف مفاجئ يصيب عضلاتي، يدلّني على أن صورتي تهرب مني وتتلبّس الناس. في هذه الأثناء ستكون نهايتي المنظورة قريبة. لو توجب العمل حالياً... (متوجهاً إلى الأسقف) من سيأخذ المسؤوليات الحقيقية؟ أنت؟ (يرفع كتفيه). كونوا منطقيين، إن كنتم ما أنتم عليه، قاضٍ وجنرال وأسقف، فهذا لأنكم أردتم أن تصبحوا كذلك ورغبتم بأن يُعرف عنكم ذلك. إذاً أنتم قمتم بما كان يجب كي تكونوا هنا وعلى مرأى من الجميع. أليس كذلك؟

الجنرال: تقريباً.

قائد الشرطة: حسناً. إذاً، أنتم لم تنجزوا أي عمل إطلاقاً من أجل العمل بحد ذاته، ولكن كي يصنع هذا العمل، المرتبط بالآخرين، أسقفاً وقاضياً وجنرالاً...

الأسقف: هذا صحيح وخاطئ في آن. لأن كل تصرف كان يحتوي في ذاته خميرته في التجدد.

القاضي: كان يمنحنا كرامة مهمة جداً.

قائد الشرطة: هذا مرجح سيدي القاضي، ولكن هذه الكرامة التي أصبحت هي أيضاً غير إنسانية مثل بلورة، تجعلك

غير قادر على حكم البشر. يوجد فوقك من هو أسمى منك، يوجد الملكة. أنت الآن تستمد سلطتك وقانونك منها. وفوق الملكة يوجد علمنا الذي تعود إليه الملكة، علمنا الذي نزعت عنه صورة شانتال ومزقتها إلى أربعة أقسام، شانتال المنتصرة قديستنا.

الأسقف (عدواني): فوق سموها ــ الذي يشرفنا ــ وفوق علمها يوجد الله الذي يتحدث بصوتي.

قائد الشرطة (مستاءً): وفوق الله؟

(صمت)

حسناً، أيها السادة، أنتم موجودون، من دونكم لن يكون الله أي شيء. وفوقكم يوجد أنا، ومن دونكم...

القاضي: والشعب؟ والمصورون؟

قائد الشرطة (يصبح ناقداً): اركعوا للشعب الذي يركع لله، إذاً... (الجميع يطلق الضحكات). من أجل ذلك أريدكم أن تخدموني. غير أنكم كنتم تتحدثون بصورة جيدة قبل قليل؟ عليّ أن أشيد بفصاحتكم وطلاقة ألسنتكم ونقاوة نبرتكم وقوة أصواتكم. فضلاً عن ذلك فأنا لم أكن إلا مجرد رجل عمل أرتبك في كلماتي وأفكاري عندما لا تطبق فوراً، لذلك أسأل نفسي فيما لو كنت سأرسلكم إلى غرفة المدفن. لن أقوم بذلك. على أي حال لن أقوم بذلك فوراً لأنكم... موجودون فيه مسبقاً.

الجنرال: سيدي!

قائد الشرطة (يدفع الجنرال فيتشقلب ويبقى جالساً على الأرض مذهولاً): نم! نم أيها الجنرال!

القاضي: يمكن أن أرفع تنورتي...

قائد الشرطة (يدفع القاضي فيتشقلب): نم! طالما ترغب بأن تكون معروفاً كقاضٍ، هل تود أن تبقى كذلك وفق الفكرة التي بحوزتي؟ ووفق المعنى العام الذي يرتبط بمركزك الرفيع. حسناً. في هذه الحالة عليّ دوماً الذهاب نحو الكثير من الاستكشاف ضمن هذا المعنى. نعم أم لا؟

(لا أحد يجيب)

حسناً؟ نعم أم لا؟

(الأسقف يبتعد بطريقة حذقة)

الملكة (متملقة): اعذره إذا استشاط غضباً. أنا أعرف تمام المعرفة أيها السادة ما الذي جئتم تبحثون عنه عندي من خلال وسائل سريعة وحتمية وقداسة جلية. كانت أثوابي التي بلا أكمام قليلة الأهمية، أنا متأكدة من ذلك. وليس هناك طموح كبير يأتي بكم خلف شبابيك بيتي المقفلة. كان حب الله مخبأ فيها. أعلم ذلك. أنت، سيدي القاضي، كنت منقاداً حقيقة بحرصك على العدالة طالما أنك كنت تود أن ترى صورة محب العدل ألف مرة من خلال مراياي. وأنت أيها الجنرال، إنه المجد العسكري،

والشجاعة والعمل البطولي الذي كان يلازمك. إذاً، استسلموا بهدوء بلا تردد كبير...

(يطلق الرجال الثلاثة الواحد بعد الآخر تنهيدة عميقة)

قائد الشرطة: هذا يريحكم، أليس كذلك؟ في الواقع، أنتم لا تهتمون إلا بالخروج من أنفسكم، ولا تهتمون بالتواصل مع العالم من خلال التصرفات الشريرة. أنا أفهمكم. (وبود) للأسف إن شخصيتي لا تزال شخصية متحركة. باختصار، مثلما تعرفونها، فهي لا تنتمي إلى جدول أسماء المواخير.

الملكة: تنتمي إلى الدليل الزهري.

قائد الشرطة: نعم، إلى الدليل الوردي. (يخاطب الوجوه الثلاثة) انظروا أيها السادة، ألن تشفقوا على رجل مسكين هو أنا؟ (ينظر إليهم كل بدوره) انظروا أيها السادة، هل سيصبح قلبكم قاسياً؟ في هذه الحالة؟ تم تحضير هذه الصالونات وهذه الشعائر المشهورة من أجلكم عبر محاولة مترددة محببة. لقد تطلبت عملاً شاقاً وصبراً شديداً. هل ستخرجون إلى الهواء الطلق؟ (يبدو فجأة متعباً جداً، ويتحدث بتواضع). انتظروا أيضاً بعض الوقت. في الوقت الراهن لا أزال مفعماً بأعمال مستقبلية، مفعماً بالأعمال... ولكن ما أن أشعر بنفسي بأنني تضاعفت بصورة غير منتهية، في هذه الحال... في هذه الحال

سأتعفن في ضميري ولن أستمر بقسوتي. ستجدون وقتئذٍ تنانيركم مجدداً إن شئتم، وتلبسونها في الطريق من أجل العمل. (مخاطباً الأسقف) لقد صمتّ... (صمت طويل). أنت محق... لنصمت جميعاً وننتظر... (صمت طويل وثقيل)... ربما الآن... (بصوت منخفض وخجول) ذروة مجدي تتهيأ...

(الجميع ينتظر، هذا واضح. ثم تظهر كارمن خلسة من الباب اليساري. أول من يلاحظها المبعوث، يرشد الملكة إليها بطريقة صامته تعطي الملكة إشارة لكارمن بأن تخرج لكن كارمن تتقدم بخطوة على عكس ما طُلب منها).

الملكة (بصوت شبه منخفض): لم أسمح لأحد أن يزعجنا. ماذا تريدين؟

(كارمن تقترب)

كارمن: أردت أن أرن الجرس، لكن الأجهزة لا تعمل جيداً. اعذريني. أردت أن أحدثك.

الملكة: حسناً، تكلمي، قرري أنت.

كارمن (مترددة): إنه... لا أدري...

الملكة (مستسلمة): إذاً لنتحدث بصوت منخفض كما لو كنا في المحكمة.

(تعير أذنها لكارمن على مرأى من الحاضرين الذين أخذوا يتمتمون ببعض الكلمات. تبدو الملكة مضطربة جداً).

الملكة: هل أنت متأكدة؟

كارمن: نعم سيدتي.

(تخرج الملكة مسرعة من جهة اليسار، تلحق بها كارمن. يحاول قائد الشرطة أن يتبعهما، لكن المبعوث يتدخّل).

المبعوث: لا نلحق بجلالتها.

قائد الشرطة: ولكن ماذا يجري؟ إلى أين ذهبت؟

المبعوث (ساخراً): ذهبت تطرز. الملكة تطرز ولا تطرز...هل تعرف هذه الأغنية؟ تستعيد الملكة واقعها عندما تبتعد وتغيب أو تموت.

قائد الشرطة: ماذا يجري في الخارج؟ (مخاطباً القاضي) هل لديك أخبار؟

القاضي: ما تسميه بالخارج هو أيضاً غامض بالنسبة إلينا مثلما نحن غامضون بالنسبة إليه.

الأسقف: سأحاول أن أخبرك عن همّ هذا الشعب الذي كان يعتقد بأنه سيتحرر عندما يثور. للأسف – أو بالأحرى بفضل السماء! – لن يكون هناك على الإطلاق حركة قوية بما يكفي لتدمير مجموعة صورنا.

قائد الشرطة (شبه خائف): في هذه الحال هل تظن بأنني محظوظ؟

الأسقف: أنت في أفضل مكانة... الذهول والورع في كل مكان، وبين كل العائلات وفي كل المؤسسات. خاف الناس خوفاً شديداً من أن تثير صورتك فيهم الشك بأنفسهم.

قائد الشرطة: ليس لديهم أمل إلا بي؟

الأسقف: لم يعد لديهم أمل إلا بغرقٍ حتمي.

قائد الشرطة: خلاصة الكلام، أنا مثل بركة ماء، كانوا يأتون إليها لينظروا إلى أنفسهم؟

الجنرال (مبتهجاً وهو ينفجر ضاحكاً): وإذا انحنوا أكثر من اللزوم يسقطون ويغرقون. ستكون ممتلئاً بالغارقين عما قليل! (لا يشاركه ابتهاجه أحد) وفي النهاية... لن يصلوا إلى الحافة!... (منزعجاً) لننتظر.

(صمت)

قائد الشرطة: في الواقع، هل ترى بأن الشعب شهد أملاً مجنوناً؟ وعندما يفقد أي أمل سيفقد كل شيء؟ وعندما يفقد كل شيء يتوه فيّ؟...

الأسقف: يُخشى أن يحدث ذلك. إنه يدافع عن جسدنا، صدّق ذلك.

قائد الشرطة: عندما سيقدم إليّ هذا التقديس الحتمي ...

المبعوث (ساخراً): لك ولك وحدك, ستتوقف الأرض عن الدوران خلال ثانية.

(يُفتح الباب اليساري فجأة، وتظهر الملكة مشرقة).

الملكة: جورج!

(تسقط بين ذراعي قائد الشرطة)

قائد الشرطة (متشككاً): هذا غير صحيح؟ (تقوم الملكة بحركة من رأسها تدل على "نعم") ولكن أين؟... ومتى؟

الملكة (متأثرة جداً): هنا!... الآن... الصالة...

قائد الشرطة: أنت تسخرين مني, لم أسمع شيئاً. (تصدر رنة قوية فجأة, كقرع الأجراس). في هذه الحالة, الأمر حقيقي؟ هل هذا لي؟

(يدفع الملكة ويبدو جاداً في الوقت الذي توقف فيه الطنين)

أيها السادة, إنني أنتمي إلى جدول الأسماء! (مخاطباً الملكة) على الأقل, هل أنت متأكدة؟

(يعود الطنين ثم يتوقف)

الملكة: أنا التي استقبلته وأدخلته إلى قاعة الضريح, الصالة التي بنيناها تكريماً لك. تركت كارمن تقوم بالتحضيرات, وأسرعت راكضة كي أخبرك. إنني أتصبب عرقاً...

(يعود الطنين ثم يتوقف)

الأسقف (حزيناً): لقد تعبنا.

قائد الشرطة: هل تعمل الأجهزة؟ يمكن أن نرى...

(يتوجه إلى اليسار وتتبعه الملكة).

المبعوث: لم تجر العادة... هذا قذر...

قائد الشرطة (يرفع كتفيه): أين الآلة؟ (يخاطب الملكة) انظري معي.

(يقف في ناحية اليسار أمام كوة صغيرة. يقف القاضي والجنرال والأسقف بعد تردد قصير من ناحية اليمين أمام كوة صغيرة أخرى متناظرة مع الأولى. إن المرآة المزدوجة التي تشكل بهدوء كبير عمق المشهد تخفي وتظهر ما يوجد داخل الصالة الخارجية. يذهب المبعوث وهو غاضب ليقف إلى جانب الملكة وقائد الشرطة).

وصف صالة الضريح

بضعة أشياء كما لو كنا داخل برج – أو بئر. أحجار الجدار الدائرية منظورة. السلم ينزل إلى العمق. يبدو وسط البئر بئر آخر حيث يبدأ السلم. يوجد على الجدران أربعة تيجان من الغار يزيّنها قماش من الحرير. عندما

يختفي الساتر يظهر روجيه في منتصف السلم، إنه ينزل. تبدو كارمن دليله. يرتدي روجيه مثل قائد الشرطة ولكنه يلبس القبقاب ذاته الذي لبسته الشخصيات الثلاث، فيبدو أكثر طولاً. تبدو كتفاه أكثر اتساعاً أيضاً. ينزل الدرج على صوت طبل، إيقاعه يتزامن مع نزوله.

كارمن (تقترب منه وتقدم له سيكاراً): تقدمة من البيت.

روجيه (يضع السيكار في فمه): شكراً.

كارمن (تتدخل): رأس السيكار هنا وأسفله هنا. (تدير السيكار في الاتجاه الصحيح). هل هذا سيكارك الأول؟

روجيه: نعم... (صمت) لم أسألك رأيك. أنت هنا لتكوني بخدمتي. لقد دفعت...

كارمن: اعذرني سيدي.

روجيه: العبد؟

كارمن: يتم تحريره.

روجيه: هل كان على علم بالأمر؟

كارمن: مطلقاً. أنت أول من يفتتح هذه الصالة، ولكن تعرف بأن السيناريوهات يمكن تحويلها جميعاً إلى موضوع مهم...

روجيه: وهو؟

كارمن: الموت.

روجيه (يمسك الجدران): في هذه الحال، هل هذا قبري؟

كارمن (تصحح ما يقول): الضريح.

روجيه: كم عبداً يعمل فيه؟

كارمن: الشعب برمته سيدي. نصف السكان يعمل في الليل والنصف الآخر في النهار. مثلما طلبت. سيشغلون الجبل كله. ما زلنا لا نعرف فيما لو كنا سنجد في الداخل أعشاش الحشرات الأرضية القارضة أو كنيسة لورد. من المعروف فقط بأن الجبل مقدس، ولكن في داخله تتداخل القبور مع القبور والأضرحة التذكارية مع الأضرحة التذكارية، والنعوش مع النعوش والمرمدات[1]...

روجيه: أين أكون من كل هذا؟

كارمن (تقوم بحركة إنكار): في غرفة انتظار. غرفة انتظار يطلق عليها اسم وادي لوس كايدوس. (تصعد الدرج الواقع تحت الأرض) ستنزل بعد قليل إلى الأسفل.

روجيه: محظور عليّ أن أتمنى الصعود إلى الهواء مجدداً؟

كارمن: لكنك... ستحتفظ برغبة الصعود إلى الهواء.

(صمت)

روجيه: في الواقع، ألم يأت أي شخص قبلي؟

كارمن: إلى هذا... القبر، أو إلى هذه... الصالة؟

(صمت)

---

(1) إناء كان القدماء يحتفظون فيه برماد الموتى بعد حرقهم.

روجيه: في الواقع، لا يوجد عيب في أي شيء؟ ملابسي؟ شعري المستعار؟

(يلتفت قائد الشرطة نحو الملكة من كوّته)

قائد الشرطة: هل كان يعلم بأنني أضع شعراً مستعاراً؟

الأسقف (يضحك مستهزئاً، ويخاطب الجنرال): هو وحده الذي لا يدرك بأن الآخرين يعرفون أنه يضع شعراً مستعاراً.

كارمن (تخاطب روجيه): منذ زمن طويل يتم التفكير بهذا. كل شيء مهيأ وعليك أن تقوم بما تبقى.

روجيه (قلق): تعرفين بأنني أنا أيضاً أبحث. عليّ أن أقوم بفكرة البطل، والبطل لا يظهر كثيراً على الإطلاق.

كارمن: من أجل ذلك قدناك إلى صالة الضريح. فهنا لا يوجد الكثير من الأخطاء الممكنة والتخيل.

(صمت)

روجيه: هل سأكون وحيداً؟

كارمن: كل شيء مسدود. الأبواب مبطنة والجدران أيضاً.

روجيه (متردداً): وا... الضريح؟

كارمن (بقوة): محفور في الصخر. الدليل هو الماء الذي يرشح من الجدران. الصمت؟ الإنسان. والنور؟ العتمة كثيفة جداً لدرجة أن عينيك تعرف تطوير نوعيات لا مثيل لها. البرد؟ نعم، إنه برد الموت. عمل هائل أجهد الكتلة "الشعبية". كان الناس يرتجفون بصورة متواصلة كي

يحفروا لك عشاً من الغرانيت. كل شيء يبرهن أنك محبوب ومنتصر.

روجيه: يرتجفون؟ هل... هل سيكون بوسعي سماع رجفات؟

(تلتفت نحو ثقب في أسفل الجدار حيث يخرج رأس متسول كنا قد شاهدناه في اللوحة الثامنة. إنه العبد الآن).

كارمن: اقترب

(يدخل العبد زاحفاً)

روجيه (باحترام موجه للعبد): إنه هو؟

كارمن: إنه جميل، أليس كذلك؟ إنه نحيل، وفيه قمل وجروح. يحلم بأن يموت من أجلك. هل أتركك الآن وحدك؟

روجيه: معه؟ لا، لا. (صمت) ابقي. كل شيء يجري دوماً بحضور امرأة. كي يكون وجه المرأة شاهداً، وكما جرت العادة...

(يُسمع فجأة صوت ضجة، صوت مطرقة تطرق على سندان ثم غناء ديك).

هل الحياة قريبة جداً؟

كارمن (بصوت عادي خالٍ من أي تمثيل): قلت لك ذلك، كل شيء مغلق، غير أن الضجيج يصل إلى هنا. هل يزعجك ذلك؟ تُستعاد الحياة شيئاً فشيئاً... مثلما كانت من قبل...

روجيه (يبدو قلقاً): نعم، مثل قبل...

كارمن (برقة): هل كنت؟

روجيه (حزين جداً): نعم. كل شيء سيء... والمحزن في الأمر هو أن يقال: "كانت الثورة رائعة!"

كارمن: يتوجب عدم التفكير بها، أو الإصغاء إلى الضجة الموجودة في الخارج. من جهة ثانية، إنها تمطر وعلى الجبل برمته تهب العاصفة. (تُظهر صوتاً فيه نبرة تمثيلية) وهنا أنت في بيتك. (تشير إلى العبد). اجعله يتكلم.

روجيه (يخاطب العبد ويلعب دوره): طالما أنك تعرف الكلام؟ ماذا تعرف أن تفعل أيضاً؟

العبد (ينام على بطنه): انحني أولاً ثم انكمش أكثر بقليل (يأخذ قدم روجيه ويضعها على ظهره) هكذا... وحتى...

روجيه (نفد صبره): نعم... وحتى؟

العبد: أغوص في الوحل لو كان ذلك ممكناً.

روجيه (يسحب من سيكاره): تغوص في الوحل، هل هذا حقيقي؟ ولكن لا يوجد وحل؟

الملكة (تتكلم دون أن توجه كلامها إلى شخص معين): إنه محق. كان علينا التفكير بالوحل. في بيت مبني بصورة جيدة... ولكن هذا اليوم هو يوم افتتاح وتدشين الصالة...

العبد (يخاطب روجيه): أشعر به حول جسدي، سيدي. وموجود على جسدي كله باستثناء فمي المفتوح لتخرج منه كلمات تمدحك، وهذه الرعشات التي تجعلني مشهوراً.

روجيه: مشهور، هل أنت مشهور؟

العبد: مشهور بأغنياتي سيدي، ولكن الأغنيات التي تمجدك.

روجيه: مجدك يواكب مجدي إذاً. (مخاطباً كارمن) يريد أن يقول بأن شهرتي ستحملها أقواله بصورة ضرورية؟ وا... وإذا صمت فأنا لن أكون موجوداً؟...

كارمن (صارمة): أود أن أرضيك، لكنك تطرح أسئلة غير متوقعة في السيناريو.

روجيه (مخاطباً العبد): ولكنك أنت من يغني؟

العبد: لا أحد. أنا ميت.

روجيه: ولكن ماذا عساك أن تكون من دوني ومن دون عرقي ودموعي ودمي؟

العبد: لا شيء.

روجيه (مخاطباً العبد): أنت تغني؟ وماذا عساك تفعل أيضاً؟

العبد: نقوم بكل ما بوسعنا كي نكون أكثر جدارة بك على الدوام.

روجيه: ماذا على سبيل المثال؟

العبد: نحن نبذل قصارى جهدنا لنتعفن ونحن واقفون على الأقدام. وهذا ليس سهلاً على الدوام صدقني, قد تكون الحياة هي الأقوى... ولكننا صامدون. نحن نتقلص قليلاً كل...

روجيه: كل يوم؟

العبد: كل أسبوع.

قائد الشرطة (مخاطباً شخصاً لا على التعين): هذا قليل. مع القليل من الجهد...

المبعوث (مخاطباً قائد الشرطة): هدوء. دعهم يلعبون دورهم حتى النهاية...

روجيه: هذا قليل. مع القليل من الجهد...

العبد (متحمساً): باستمتاع، حضرة معاليك. أنت جميل جداً. جميل جداً إلى الحدّ الذي أسأل نفسي فيما لو كنت تشع وتتلألأ أو أنّك ظل الليالي كلها.

روجيه: أية أهمية لذلك طالما أنه لم يعد عليّ امتلاك الواقع إلا في واقع عباراتك.

العبد (متوجهاً باتجاه الدرج الصاعد إلى الأعلى): أنت لا تملك فماً ولا عينين ولا أذنين ولكن كل شيء فيك عبارة عن فم يرعد، وبنفس الوقت عين تسهر...

روجيه: هل ترى ذلك, ولكن... هل يعرف الآخرون هذا؟ هل الليل يعرف هذا؟ هل الموت يعرف؟ هل الأحجار تعرف؟ الأحجار, ماذا تقول الأحجار؟

العبد (لا يزال يجر نفسه على بطنه ويبدأ بتسلّق الدرج زاحفاً): الأحجار تقول...

روجيه: حسناً إنني أصغي؟

العبد (يتوقف عن الزحف، يلتفت نحو الجمهور): لقد جعلنا الإسمنت نلتصق ببعضنا البعض من أجل تشييد قبرك...

قائد الشرطة (يلتفت نحو الجمهور ويضرب صدره مبتهجاً): الحجارة تخاطبني بصيغة المفرد!

العبد (متابعاً): ...الإسمنت معجون بالدموع والبصاق والدم. وضعت علينا أعين وأيدي البنائين وطلونا بغراء الألم. نحن لك وليس لأحد سواك. (يتابع العبد صعوده).

روجيه (يتحمس شيئاً فشيئاً): أنت تتحدث عني! الكل يتنفس ويعبدني! قصتي بدأت كي تُكتب صفحة مجيدة ومن ثم تُقرأ. ما يهم هو المطالعة. (يلاحظ فجأة أن العبد اختفى, يخاطب كارمن): ولكن... إلى أين ذهب؟... أين هو؟

كارمن: يغني. صعد إلى الهواء الطلق. سيقول... بأنه تعقب خطاك... وإنه...

روجيه (قلقاً): حسناً وإن؟... ماذا سيقول أيضاً؟

كارمن: الحقيقة هي أنك ميت أو بالأحرى بأنك مستمرٌ في الموت وأن صورتك مثل اسمك يرجعان إلى الأبدية.

روجيه: هل يعلم بأن صورتي في كل مكان؟

كارمن: إنها في كل مكان، مسجلة ومحفورة ومفروضة بفعل الخوف.

روجيه: على أكف أيدي عمال الموانئ؟ على ألعاب الصبية؟ على أسنان الجنود؟ في الحرب؟

كارمن: في كل مكان.

قائد الشرطة (يخاطب شخصاً غير محدد): لقد ربحت إذاً؟

الملكة (برقة): هل أنت سعيد؟

قائد الشرطة: لقد عملت جيداً. منزلك مجهز.

روجيه (يخاطب كارمن): هل صورتي في السجون؟ وفي تجاعيد العجائز؟

كارمن: نعم.

روجيه: في منعطفات الطرقات؟

كارمن: عليك ألا تطلب المستحيل.

(تُسمع الضجة ذاتها التي سُمعت قبل قليل: الديك والسندان).

حان وقت الرحيل سيدي. الجلسة انتهت. عندما تخرج، ستأخذ الناحية اليسرى. الممر...

(يُسمع صوت السندان أيضاً وأقوى بقليل).

هل تسمع؟ عليك العودة... ماذا تفعل؟

روجيه: الحياة تشط... وهي بعيدة جداً. النساء هنا جميعهن جميلات... لا يهتممن بأي شيء إلا بأن يكنّ جميلات. من الممكن الضياع فيهن...

كارمن (صارمة): حسناً. في اللغة الدارجة يطلق علينا اسم مومسات. ولكن عليك العودة...

روجيه: إلى أين أذهب؟ إلى الحياة؟ لاستئناف أعمالي كما يقال...

كارمن (قلقة بعض الشيء): لا أدري ماذا تفعل، وليس لدي الحق بأن أعرف. ولكن عليك الرحيل. الوقت يمضي.

(صوت السندان وأصوات أخرى توحي بنشاط ما: ضربات سوط، وصوت محرك والخ...)

روجيه: يُضغط عليك في بيتك. لماذا تريدين أن أعود من حيث جئت؟

كارمن: لم يعد لديك أي شيء تقوم به...

روجيه: هناك؟ لا شيء. ولا حتى هنا أيضاً. في الخارج الذي تسمينه الحياة، كل شيء تراخى. لم تكن أية حقيقة ممكنة... هل كنت تعرفين شانتال؟

كارمن (مذعورة فجأة): ارحل! اذهب من هنا بسرعة!

الملكة (غاضبة): لن أسمح على الإطلاق بأن ينشر الفوضى في صالوناتي! من أرسل إليّ هذا الفرد؟ بعد الاضطرابات، يتدخل عالم اللصوص في الأمور دوماً. أتمنى لو أن كارمن...

كارمن (تخاطب روجيه): ارحل! ليس من حقك أن تطرح عليّ الأسئلة. هل تعلم بأن تسوية صارمة جداً تحكم المواخير، وأن الشرطة تحمينا.

روجيه: لا! طالما أنني ألعب دور قائد الشرطة وطالما أنك سمحت لي بأن أكون هنا...

كارمن (تسحبه): أنت مجنون! ولن تكون الأول الذي ظن بأنه وصل إلى السلطة... تعال!

روجيه (متملصاً): طالما أن الماخور موجود، وطالما أنه من حقي المجيء إليه، ومن حقي أن أجسد الشخصية التي اخترتها فيه حتى نهاية مصيرها... لا حتى نهاية مصيري... نخلط مصيرها بمصيري...

كارمن: لا تصرخ أيها السيد، الصالونات مشغولة جميعها. هيا...

روجيه: لا شيء! لم يبق لي أي شيء! ولم يبق على البطل شيء كبير...

(تحاول كارمن إخراجه. تفتح باباً ثم باباً آخر ثم آخر... إنها تخدع نفسها... أخرج روجيه سكيناً، ظهره للجمهور، يقوم بخصي نفسه).

الملكة: على سجاجيدي! على "الموكيت" الجديد! إنه مختل عقلياً!

كارمن (تصرخ): تفعل هذا هنا... (تصرخ). سيدتي! سيدة إيرما!...

(تنجح كارمن في النهاية بإخراج روجيه. تخرج الملكة راكضة. تعود الشخصيات جميعها: قائد الشرطة والمبعوث

والقاضي والجنرال والأسقف يتركون الكوّات ويعودون. يتقدم قائد الشرطة إلى وسط المشهد).

قائد الشرطة: لقد قام بدوره بصورة جيدة. ظن نفسه بأنه تمكّن مني.

(يضع يده في فتحة سرواله يرفع خصيته بوضوح كبير ليعرف وزنها، يطمئن ويتنهد).

خصيتاي هنا. في هذه الحالة من منا نحن الاثنان الهالك؟ هو أم أنا؟ وإذا كانت صورتي مخصية في كل ماخور من مواخير العالم برمته، أظل غير ممسوس. غير ممسوس وسليم أيها السادة. (صمت) لم يكن يعرف عامل الرصاص التمثيل، فهذا كل شيء. (ينادي مبتهجاً) إيرما! إيرما!... أين أنت؟ ليس من شأنها أن تقوم بالضمادات.

الملكة (تدخل): جورج! البهو!... السجاجيد ملطخة بالدم... البهو مليء بالزبائن... يتم تجفيفه بالإسفنج بقدر المستطاع. لم تعد كارمن تعرف أين تضعها...

المبعوث (منحنياً أمام قائد الشرطة): عمل رائع.

قائد الشرطة: صورة عني ستخلد سراً. مشوهة؟ (يرفع كتفيه) ومع ذلك فإن قداساً وضيعاً سيقدم لمجدي. أخبروا المطابخ! ليرسلوا إلي طعاماً لألفي عام!

الملكة: وأنا. جورج؟ لكنني لا زلت على قيد الحياة!...

قائد الشرطة (من دون أن يسمعها): في هذه الحال... أين... أكون؟ هنا، أو... ألف مرة؟ (يشير إلى القبر). الآن بوسعي أن أكون طيباً... ونقياً... وعادلاً... هل رأيتم؟ هل رأيتموني؟ هناك قبل قليل، أعظم من العظيم، أقوى من القوي، أكثر موتاً من الميت؟ وهكذا، لم يعد لديّ شيئ أفعله معكم.

الملكة : جورج! لكنني لا أزال أحبك!

قائد الشرطة (يتوجه نحو القبر): لقد ربحت حق الذهاب لأجلس وانتظر ألفي عام. (يخاطب المصورين). أنتم، انظروا إليّ فأنا حي وميت. صورة من أجل الذرية! (ثلاث ومضات متزامنة تقريباً). أحرزت تقدماً!

(بالرجوع إلى الوراء ببطء شديد يدخل في النعش، في هذه الأثناء يخرج المصورون الثلاثة إلى الكواليس اليسارية يحملون آلات التصوير على الكتف. يؤدون التحية باليد قبل أن يختفوا).

الملكة: أنا من قام بكل شيء، كل شيء منظم... بقي... ماذا...

(يصدر دوي رشيش فجأة)

هل تسمع!

قائد الشرطة (ينفجر من الضحك): فكري بي!

(يسارع القاضي والجنرال للإمساك به لكن الأبواب تبدأ بالانغلاق في الوقت الذي كان قائد الشرطة يصعد الدرجات الأولى. صوت دوي رشيش من جديد).

القاضي (عالقاً بالباب): لا تتركنا وحدنا!

الجنرال (كئيباً): لا تزال هذه العربة!

المبعوث (يخاطب القاضي): اسحب أصابعك، ستظل عالقاً.

(يغلق الباب بإحكام. الشخصيات الباقية تظل حائرة للحظة. يصدر صوت ثالث لدوي رشيش).

الملكة: أنتم أحرار أيها السادة...

الأسقف: ولكن... في منتصف الليل؟...

الملكة (تقاطعه): ستخرجون من الباب الصغير الذي يطل على الزقاق. توجد سيارة بانتظاركم.

(وتُحيّي بحركة من رأسها. تخرج الشخوص الثلاثة من ناحية اليمين. ويصدر صوت رابع لدوي رشيش)

الملكة : من يكون؟... نحن... أم الثوار؟... أو؟...

المبعوث: شخص ما يحلم، سيدتي...

(تتوجه الملكة نحو نقاط مختلفة في الغرفة وتضغط زر الضوء. ينطفئ الضوء كل مرة.

الملكة (يستمر الضوء بالانطفاء): ... إيرما. نادني بالسيدة إيرما وعد إلى منزلك. أسعدت مساءً سيدي.

المبعوث: أسعدت مساءً سيدة إيرما.

(يخرج)

إيرما (وحيدة ويستمر الضوء بالانطفاء): كم ستكلفني الإضاءة... ألف فرنك كهرباء في اليوم!... ثمانية وثلاثين صالة!... كلها مذهبة، مجهزة بآلات قادرة على أن تتداخل وتتحد فيما بينها... وكل هذه العروض من أجل أن أبقى وحيدة عشيقة وشبه عشيقة لهذا المنزل ولنفسي... (تطفئ محرك الإنارة ولكنها تغير رأيها). آه لا، إنه القبر ويحتاج الإضاءة لألفي عام!... والطعام لألفي عام!... (ترفع كتفيها) في النهاية تم تسوية كل شيء، ويوجد أطباق مأكولات، فالمجد هو النزول إلى القبر مع أطنان من الأغذية!... (تنادي وهي ملتفتة نحو الكواليس). كارمن؟... كارمن؟... اسحبي المزلاجات يا عزيزتي، وضعي أكياس الملابس... (تستمر بإطفاء الإنارة). ينبغي البدء مجدداً في الحال... كل شيء يضاء من جديد... وتُلبس الملابس... (يسمع صياح ديك)، وتُلبس الملابس... آه ملابس التنكر! ويُعاد توزيع الأدوار... وأتقلد دوري... (تتوقف وسط المشهد مقابل الجمهور)... تحضير دورك... ملابس القضاة والجنرالات والأساقفة وكبار أمناء القصر والثوار الذين يتركون الثورة مشلولة، سأحضر ملابسي وصالوناتي للغد... عليك أن تعودي إلى منزلك حيث سيكون فيه

أيضاً كل شيء أكثر زيفاً من هنا، صدقي كلامي... عليك أن تذهبي من هنا... انعطفي يساراً في الزقاق... (تطفئ آخر ضوء) ها قد طلع الصباح الآن.

ســـتارة

الفهرس

الصفحة

- الشخصيات 5
اللوحة الأولى 7
اللوحة الثانية 19
اللوحة الثالثة 33
اللوحة الرابعة 47
اللوحة الخامسة 49
اللوحة السادسة 95
اللوحة السابعة 105
اللوحة الثامنة 121
اللوحة التاسعة 123

الطبعة الأولى / 2010
عدد الطبع 1000 نسخة